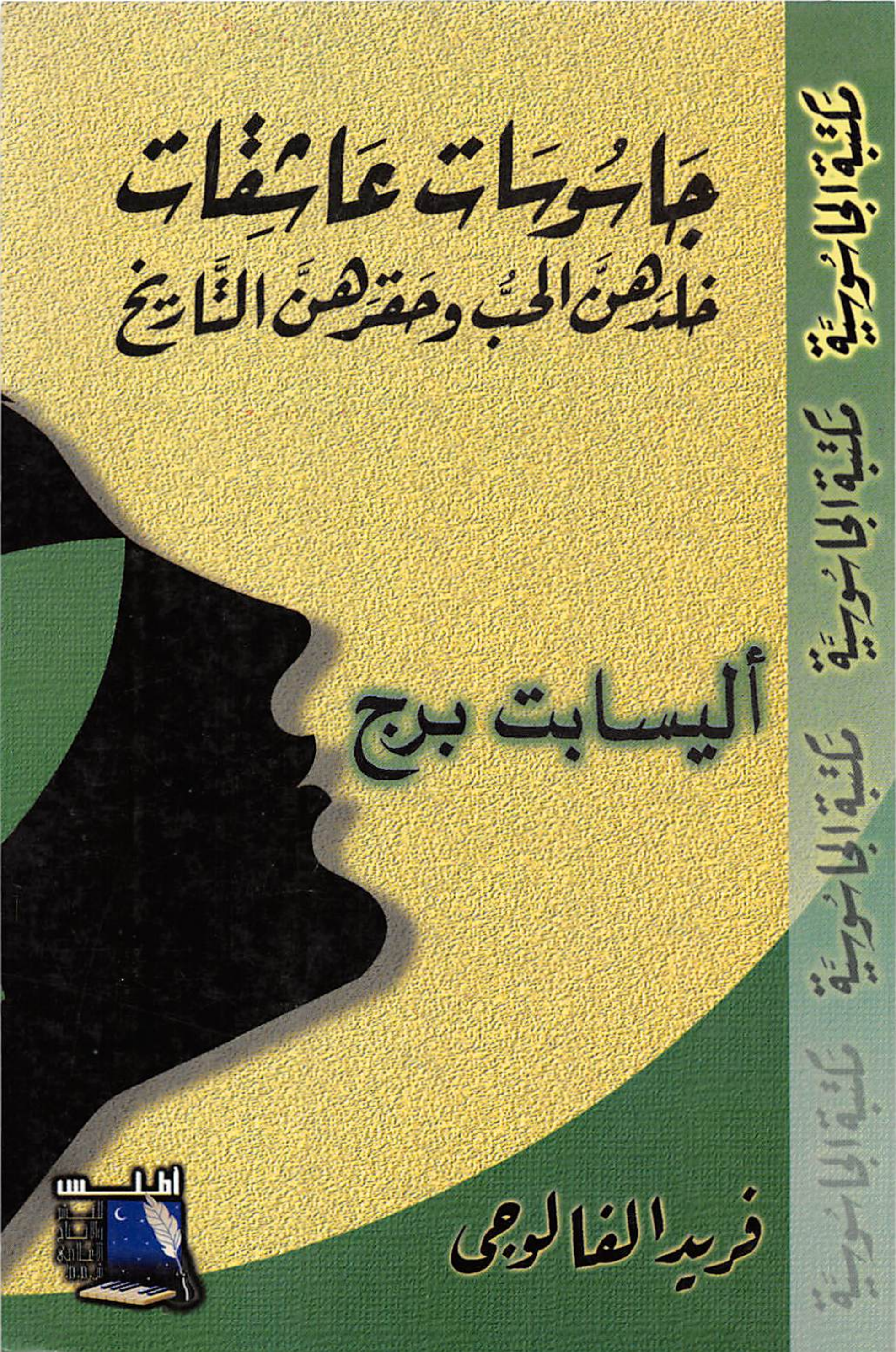

جاسوسات عاشقات
خلدهن الحب وحقرهن التاريخ
أليسابت برج
فريد الفالوجي
أطلس
مكتبة الجاسوسية
مكتبة الجاسوسية
مكتبة الجاسوسية
مكتبة الجاسوسية



جاسوسات عاشقات

هذه السلسلة

- محاولة دائبة لسبر أغوار النفوس المريضة التى تهوى بأصحابها إلى مستنقعات الخيانة.
- تحليلات مستفيضة لكل الأحداث والمواقف، تكشف الغموض وتظهر النوايا الخفية فى كل تصرف للشخصية المعنية.
- استقصاء شامل لجميع المستندات والملفات للوصول إلى كبد الحقيقة، بعيداً عن الاجتهادات والتأويلات والافتراضات غير المثبتة بالدليل القاطع.
- عمل جاد وجهد شاق لفضح هذه الفئة الضالة من النساء التى أغواها الشيطان، وبعن وطنهن وغدرن بأهلهن.. فحل عليهن العقاب الشديد، والتصق بهن العار إلى الأبد.

أليسابت برج :

خانت وطنها - ألمانيا - وتجسست لصالح المخابرات الأمريكية، بعد أن انساقت وراء عواطفها وأحبت شاباً أمريكياً كان يعمل جاسوساً لبلاده.

ولم يمنعها من هذا التصرف الدنئ كونها ابنة دبلوماسى ألمانى، ومن أسرة ثرية لا يعوزها المال أو السلطان.

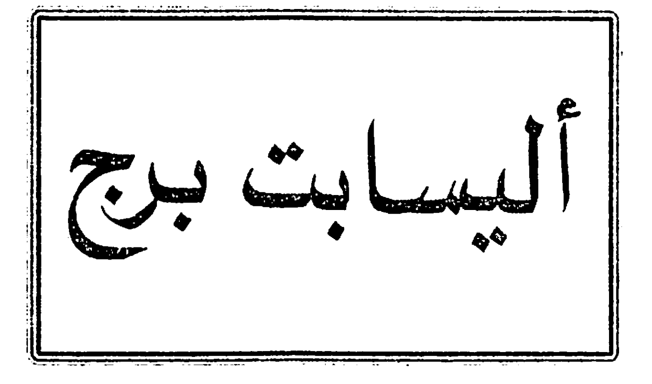
الناشر





مكتبة الجاسوسية

جاسوسات عاشقات
خلدهن الحب وحقرهن التاريخ



فريد الفالوجي



رئيس مجلس الإدارة

عادل المصرى

عضو مجلس الإدارة المنتدب

حسام حسين

مستشار النشر

أحمد جمال الدين

رقم الإيداع

١٨١١٩ / ٢٠٠٥

الترقيم الدولى

٩٧٧ - ٣٩٩ - ٠٤٢ - ٧

الطبعة الأولى

الجمع والإخراج الفنى

«مكتبة ابن سينا»

ت : ٦٣٧٩٨٦٣ ف : ٦٣٨٠٤٨٣

مطابع العبور الحديثة

الكتاب : جاسوسات عاشقات

المؤلف : فريد الفالوجى

الغلاف : للفنان إلهامى عزت

الناشر : أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى ش.م.م

٢٥ ش وادى النيل - المهندسين - القاهرة

E-mail:atlas@innovations-co.com

تليفون : ٣٠٢٧٩٦٥ - ٣٠٣٩٥٣٩ - ٣٤٦٥٨٥٠

فاكس : ٣٠٢٨٣٢٨

* * * *

المقدمة

إن المرأة عندما تحب بصدق.. وبكل ما لديها من عاطفة جياشة رائعة.. تمنح الحبيب دفقات متتالية من نهر الحب العظيم.. تحيل حياته إلى جنات من الصفو اللذيذ.

ويسوق لنا التاريخ حكايات عن نساء بعن الوطن من أجل الحب.. ولم يندمن وهن ينزوين بين جدران الذبول والنسيان.. أو حتى وهن معصوبات الأعين ومكبلات في طريقهن إلى الموت في غُرف الإعدام.

فالمرأة عندما تكتشف فجأة، أن حبيبها ما هو إلا جاسوس محترف، خدعها في مشاعرها طوال سنوات من الحب المغشوش، ترتج حياتها كلها في لحظة تسحب من جذور مشاعرها.. لتصل بها إلى صراع مجنون قد يدمرها تماماً.. ويكون رد فعلها عندئذ أكثر جنوناً ودهشة.

إنه صراع فتاك ليس من السهل أن تتحمله امرأة أحبت، وأعطت كل ما لديها لحبيب خائن غدار.. صراع يدفع بها إلى منعطفات حادة مهلكة أحياناً.. فهي إما أن تغمض عينيها وتمسك

أنفاسها لكى تختار الحبيب وحده.. أو تختار الوطن وبذلك تسلم حبيبها إلى الموت.

وقد ذكر لنا التاريخ أمثلة لا حصر لها، لنساء وطنيات فضلن الوطن فوق أى اعتبار.. وأسهمن بإخلاص فى المحافظة على أمنه وسلامته..

وهذه السلسلة من (جاسوسات عاشقات .. خلدهن الحب وحقرهن التاريخ) تتناول سيرة بعض الجاسوسات الخائنات اللائى انصرفن عن كل مُثل فى سبيل الحب والمتعة.. وقد نبذن الشرف والفضيلة والانتماء من حياتهن.

وفى قصتنا هذه .. سنندهش أمام حالة فتاة ألمانية من أسرة ثرية راقية .. أحبت أمريكيا فجندتها مخابرات بلاده ضد وطنها.. فنشطت فى مهمتها وكادت تكتشف شخصية «شيشرون» المثيرة للدهشة.. الذى كان يتجسس لصالح بلادها ضد الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية.

فريد الفالوجي

القاهرة ـ مدينة نصر

أليسابت برج



كان والدها دبلوماسيًا ألمانيًا .. وعندما أحبت أمريكيًا أثناء الحرب العالمية الثانية، نسيت الوطن، ووافقت على العمل لصالح الحلفاء، وسعت لكشف سر الجاسوس الغامض فى سفارة بلدها بتركيا، حتى كادت أن تنجح فى مهمتها. إنها جاسوسة ماهرة بحق، خدعت ضابط الاستخبارات الألمانى المحنك باقتدار ..!!

تكلم لأول مرة

يقول فى مذكراته:

- اتصلت تليفونيًا بالسفارة الألمانية لتحديد موعد أسلم فيه الفيلم إلى الضابط الألمانى «الكولونيل لودفيج موز يتش» ، ولكن الاتصال استغرق وقتا طويلاً، لأنهم عينوا سكرتيرة جديدة لموزيتش . قلت لها:

- أريد أن أتكلم مع الهر موز يتش من فضلك. أبلغيه أن «بيير» يريد أن يكلمه.

ضحكت الفتاة ضحكة طويلة لطيفة ، ثم سألت :

- بيير ..؟ بيير ماذا ..؟

فقلت لها:

- بيير فقط .. أرجوك أن تقولى له ذلك.

فقالت :

- حسن جدا .

وكان ردها فى هذه المرة فى صوت مهذب رقيق، مما جعلنى أفكر فى أن أعتذر لها عن اللهجة الحادة التى خاطبتها بها . ولكن قبل أن تتاح لى فرصة الاعتذار كان موزيتش على الخط . فقلت له:

- ما رأيك فى لعبة بريدج أخرى الليلة؟.. إن فى جعبتى أفكارًا كثيرة.

وكان هذا هو الاصطلاح المتفق عليه بيننا لتدبير لقاء. وعندما التقينا قلت له:

- أرجو أن تعتذر لسكرتيرك نيابة عنى، فقد كنت غليظا وجافا معها اليوم . إنها سكرتيرة جديدة أليس كذلك ..؟

فقال:

- نعم ... جاءت من «صوفيا» منذ أيام فقط.

فقلت:

- إننى أحب أن آخذها فى نزهة لأريها المدينة.

عند ذلك نظر إلى موز يتش نظرة لا تدل على ارتياح، ولكنه قال:

- بكل سرور.

وعدت إلى السفارة البريطانية وأنا أغنى باطمئنان كالطائر السعيد . وفى هذه اللحظة، لحظة شعورى بالاطمئنان، لم تلهمنى حاستى السادسة بأننى فى هذا اليوم بالذات تحدثت مع عدوى الحقيقى ، المرأة .. التى كشفت حقيقتى. المرأة التى كانت تقتفى أثر الرجل المجهول الذى كان يختفى وراء اسم «شيشرون» نعم.. لم تحذرنى حاستى السادسة من شئ ، عندما سمعت صوت سكرتيرة موزيتش الجديدة «أليابست برج» التى جاءت خصيصًا إلى تركيا للبحث عنى.

هذا ما جاء بمذكرات «شيشرون» ، أشهر جاسوس فى العصر الحديث ، الرجل التركى الذى كان خادمًا للسفير البريطانى فى أنقرة، والذى باع أدق وأخطر أسرار بريطانيا الحربية للألمان بثلاثمائة ألف جنيه إسترلينى، وبسببه كاد الحلفاء أن يخسروا الحرب العالمية الثانية. وبعد سنوات من البحث عن شخصيته الحقيقية، تكلم أخيرا لأول مرة[1] وأعلن عن اسمه الحقيقى وأسرار مطاردته بواسطة امرأة .!

(١) نشرت «الهلال» مذكراته باختصار شديد فى ثلاث حلقات بأعداد مارس وأبريل ومايو ١٩٦٢ وقبل ذلك تناول قصته عدد سلسلة «كتاب اليوم» عن الجاسوسية.!!

إنـه «إليـاس بازنـا» ، خـادم السـفير البريطـانى، الـتركى المغــامر الباحث عن المال والـثراء والمجد، الـذى احـترف الجاسوسـية بـدون تدريب مسبق أو إعداد ، فتفوق فيها بدرجة مذهلة لم يصل إليـها جاسوس آخر من قبله أو من بعده .

ذلـك لأنـه حالـة فريـدة ومثـيرة، دعــت أجـهزة الاسـتخبارات العالمية للبحث عن أسباب مهاراته ، وجرأته ، وتميزه، وعبقريتــه، وبات يصنف أمنيا على أنه من أمهر الجواسيس على مر التاريخ.

فكيف بدأت حكايته مع الجاسوسية..؟

ومـا الخطـوة الأولى التـى قدمتـه لهـذا العــالم السـرى الغـامض المخيف..؟

الحكاية بدأت فى شهر أكتوبر عام ١٩٤٣ والحرب العالمية الثانية فـى أوج اشـتعالها، عندمــا ذهــب الخــادم الـتركى إلى مسـكن الهـر «رالنكر» الملحق العسكرى العام فى سفارة ألمانيـا بـأنقرة، ولمـا كـان رالنكر نائمًا لظروف مرضية فى ذلك الوقـت، استقبلته زوجتـه، وفوجئت به يعرض خدماته على الألمان دون أن يفصح لها عما فى جعبتـه ، لكنـه أفادهـا بأنـه يعمـل مـع شـخصية بريطانيـة مهمـة ولديه معلومات عسكرية غاية فى الأهمية يود أن يبيعها للألمان.

خادم السفير البريطانى

اتصلت زوجة الهر رالنكر بالكولونيل لودفيج موزيتش وقالت له:

ـ أرجوك أن تحضر إلى بيتنا فى الحال، إن زوجى يرغب فى أن يراك.

وعندما وصل إلى البيت أشارت بإصبعها إلى باب الصالون المعلق قائلة:

ـ هناك شخص غريب، وهو يزعم أن لديه أشياء يريد أن يبيعها لنا، أرجوك أن تجتمع به وتبحث معه الأمر .

كان الرجل الغريب يجلس فى أحد المقاعد الكبيرة ساكتا . ولكنه لم يكن نائمًا ، حيث وثب واقفًا عندما دخل موزيتش وخاطبه بالفرنسية قائلاً:

ـ من أنت ..؟

فأخبره بأن الهر رالنكر كلفه بالتحدث إليه.

كانت نظرات الرجل المنبعثة من عينيه السوداوين لا تزال

تنتقل بقلق بين باب الصالون وبين موزيتش . وبعد تردد قال بالفرنسية الركيكة:

ـ لقد جئت أعرض عليك أمرا، أو بالأحرى أعرضه على ألمانيا. ولكن قبل أن أحدثك عن ماهية هذا الأمر، اطلب منك أن تعدني بشرفك ـ سواء قبلت العرض أو رفضته ـ أن لا تفضى به لأحد سوى رئيسك . فإن أى إفشاء من جانبك سيعرض حياتى وحياتك للخطر، إذ إنى سأنتقم لنفسى منك حتى ولو كان هذا أخر شئ أستطيع القيام به فى حياتى.

فتعهد له موزيتش بأنه سيصون السر، وسأله عن حاجاته فقال:

ـ إنى أستطيع أن أقدم لك وثائق سرية للغاية، وخطيرة جدا..!

لقد أحضرت هذه الوثائق من السفارة البريطانية رأسا ، ولا شك أن وثائق مثل هذه تهم حكومتك .. أليس كذلك ..؟ ولكنى سأطلب منكم مبلغا كبيرا ثمنا لما سأقدمه لكم ، وهو مبلغ عشرين ألف جنيه إسترلينى ثمنا لبضاعتى.

أجابه موزيتش:

ـ هذا محال .. ولا يمكن البحث فيه، فليس لدينا فى السفارة مبلغ كبير مثل هذا من النقد الإنجليزى ، ثم إنه يجب أن تكون «بضاعتك» على جانب كبير من الخطورة حتى نوافق على دفع هذا المبلغ الضخم.. هل معك هذه الأوراق الآن لأطلع عليها..؟

ـ إنى لست مجنونًا حتى أجلبها معى .. لقد قضيت سنوات طويلة من عمرى وأنا أعد العدة وأمهد لهذا اليوم، وقد درست كل شئ بالتفصيل وها هى ساعة العمل قد دنت الآن . لقد صرحت لك بشروطى، فإذا وافقت كان بها ، وإذا لم توافق فسأرى ما إذا كان غيركم يريد شراءها (يقصد السفارة السوفييتية) .

وسادت فترة صمت قصيرة قال على أثرها:

ـ إنى أمهلك ثلاثة أيام فقط لتدرس العرض الذى قدمته لك، فقد تضطر إلى التباحث مع رئيسك ، وقد يضطر إلى الاتصال ببرلين ، ولذلك سأتصل بك تليفونيًا فى يوم ٣٠ أكتوبر الجارى فى مكتبك، وسأسألك عما إذا كانت وصلت إليك رسالة باسمى، وسأزعم أن اسمى هو «بيير» .

فإذا أجبت بالنفى فإنى عند ذلك أفهم أن العرض قد رفض ولن ترى وجهى بعد ذلك . أما إذا أجبت بالإيجاب فسيعنى هذا

أنك قبلت العرض. وفى هذه الحالة سأحضر لمقابلتك فى الساعة العاشرة مساء من نفس اليوم. ولكن ليس هنا، بل سنتفق على مكان آخر نلتقى فيه.. وسأسلمك عندئذ بكرتا أفلام تحتويان على صور فوتوغرافية لوثائق بريطانية سرية.. وستدفع لى مبلغ العشرين ألف جنيه أوراق نقدية إسترلينية.

وأضاف:

ـ إنكم ستخاطرون بعشرين ألف جنيه، أما أنا فسأخاطر بحياتى. وإذا أعجبتكم الدفعة الأولى من هذه الوثائق فسأوافيكم بالمزيد منها. أما الثمن الذى أطلبه للدفعات الأخرى فهو خمسة عشر ألفًا من الجنيهات لكل دفعة جديدة.

وعده موزيتش بالتباحث مع رؤسائه وأنه سينتظر مكالمته التليفونية فى الموعد الذى حدده، وتواعدا على اللقاء قرب «جراج» السفارة الألمانية فى حالة الموافقة على شروطه.

ثم انصرف الرجل بعد أن همس فى أذن الكولونيل الألمانى:

ـ أشعر بأنك تتحرق شوقا لمعرفة شخصيتى .. أليس كذلك..؟ أنا خادم السفير البريطانى الخاص ..!!

السـر الأعـظم

يقول الكولونيل موزيتش:

ـــ « فـى صبـاح اليـوم التـالى أسـرعت لمكتـب السـفير «فـون بـابن» ومعـى التقريـر الـذى ضمنتـه تفـاصيل محادثـات الليلـة السابقة، فأخذ يطالعه وكـان بـين لحظـة وأخـرى يرفـع بصـره إلىّ وعلامات الدهشة والاستغراب تطل من عينيه . وبعدما انتهى من قراءة التقرير، ألقى به بعيدا علـى الطـرف الآخـر مـن مكتبـه، إذ كان كمن يريد أن يقول إنه لا يرغب فى أن يكون له إصبع فى أمـر مثل هذا. وكان من الواضح أنه يشعر بضيق عندما قال لى:

ـ إن الثمـن الـذى يطلـبه كـبير جـدًا ، ونحـن لا نسـتطيع أن نتصرف فى الأمر وحدنا. اكتب رسالة إلى برلين ضمنـها كل هـذه الوقائع واعرضها علىّ شخصيًا قبل إرسالها.

وكتبت الرسالة التى جاء نصها:

ـ إلى وزيـر خارجية الرايخ ـ خاص وسرى جدًا .

عرض علينا موظف فى السـفارة البريطانيـة يزعـم أنـه خـادم

السفير الخاص صورًا فوتوغرافية لوثائق أصلية وسرية للغاية، يطلب ثمن لها ٢٠ ألف جنيه من ورق النقد الإنجليزى تدفع فى ٣٠ أكتوبر الجارى، ثم ١٥ ألف جنيه لكل فيلم آخر . نرجو إفادتنا إذا كنتم توافقون على هذه الصفقة. فإذا وافقتم فأرسلوا المبلغ مع رسول خاص قبل ٣٠ أكتوبر.

فون بابن

وكتبت هذه الرسالة بالشفرة فى اليوم التالى نفسه، ٢٧ أكتوبر، وبعد ساعة واحدة كانت الرسالة أمام الهر «فون ريبنتروب» وزير خارجية ألمانيا ».

وفى مساء ٢٩ أكتوبر ١٩٤٣ وصل الرد التالى :

- «إلى السفير «فون بابن» خاص وسرى جدا .

وافقوا على عرض خادم السفير البريطانى بعد أن تتخذوا جميع الاحتياطات .. سيصل إليكم رسول خاص قبل ظهر ٣٠ أكتوبر. ننتظر تقريركم فى الحال بعد تسليمكم الوثائق » .

ريبنتروب

وفى اليوم التالى - ٣٠ أكتوبر - فى الساعة الثالثة بعد الظهر

دق التليفون فى مكتبى وسمعت صوتا يقول:

ـ أنا بيير .. صباح الخير يا سيدى .. هل وصلت إليكم رسالة باسمى ..؟

قلت له:

ـ نعم ...

رد على الفور:

ـ حسنا ... سألقاك هذا المساء .. إلى اللقاء .

وعندما أخبرت السفير بأمر المكالمة الهاتفية المنتظرة، وبأننى سأجتمع بالرجل فى المساء، قال لى:

ـ «احترس يا بنى لئلا يخدعك .. فأنا ـ بينى وبينك ـ لا يهمنى هذا العمل إطلاقاً .. لأننا لا نحتمل أى فضيحة هنا. حقيقة لقد زودتك بتعليماتى للسير فى العمل، وكذلك إذا تورطت فى فضيحة فلن يكون فى مقدورى حمايتك ، بل قد أنكر أمام العالم بما كنت تعمل. وأحذرك بصفة خاصة من الإفضاء بهذا الأمر لأى شخص ـ أى شخص ـ ولتتذكر أنه لا يخوننا إلا من كان معنا . »

(لم يكن يعلم بأمر هذه الاتصالات السرية المحاطة بالكتمان

سوى أربعة فى السفارة الألمانية بأنقرة وهم : السفير فون بابن، والهر رانكلر الملحق العسكرى العام، وزوجة رانكلر التى ذهب شيشرون إلى منزلها أول مرة، والكولولونيل موزيبيش .

كذلك كانت الأفلام التى تحتوى على صور الوثائق تحمض فى غرفة مظلمة خاصة بالميجور «روزير» الملحق العسكرى للشئون الاقتصادية فى السفارة الذى كان لا يعلم شيئا عن أمر عملية «شيشرون»).

يقول روزير بعد ذلك[1] :

- لقد مضى وقت طويل قبل أن نعرف نحن الذين كنا نعيش فى السفارة، تفصيلات السر، فقد بلغ من تمسكهم بكتمانه انهم لم يلجأوا إلى القسم المالى فى السفارة لطلب المبالغ التى كانت تعطى للجاسوس الغامض ، وكان من بينها مبلغ مائة ألف جنيه إسترلينى سلم إليه دفعة واحدة، وإنما بعثوا إلى برلين فى طلب المبلغ.

---

(١) كتاب اليوم: (مصدر سبق ذكره).

شيشـــرون

وفى الموعد المحدد فى العاشرة مساء ، وصل موزيتش إلى المكان المتفق عليه فى أقصى الحديقة ووقف فى الانتظار . وكان السكون التام يخيم على كل شئ . ولكن كان سكونًا مخيفًا ، وكان يسمع دقات قلبه بوضوح عندما سمع صوت أقدام تسير فى حذر، ولم يستطع أن يتبين شيئًا من شدة الظلام . وفجأة سمع صوتًا يقول :

- أنا بيير .. هل سار كل شئ على ما يرام ..؟

فى أنفاس مضطربة أجابه موزيتش:

- نعم .. الأمور طيبة جدًا ونحن بانتظارك .

وسارا فى اتجاه مبنى السفارة دون أن يتكلما ، ودخلا فى هدوء حتى وصلا إلى مكتب موزيتش الذى أضاء المصباح وسأله الرجل:

- هل جئت بالمبلغ المتفق عليه..؟

فحنى موزيتش رأسه بالإيجاب، عندئذ مد شيشرون يده فى جيب معطفه وأخرج منه بكرتين من الأفلام ووضعهما فى كفه،

ولكنه سرعان ما سحب يده عندما مد موزيتس يده لأخذهما ، وقال بكل هدوء:

ـ الدفع أولاً من فضلك.

نهض موزيتش وفتح الخزانة وأخرج منها الرزمة الكبيرة فتسلم الفيلمين، وفى الوقت نفسه مد الرجل يده ليأخذ النقود فأوقفه قائلاً:

ـ ليس الآن .. يجب أن نتأكد أولاً من صحة الوثائق، وستنتظر هنا مدى ربع الساعة حتى أفرغ من تحميض الفيلمين.

وعندما رجع إلى مكتبه، كان خادم السفير جالسًا يدخن بهدوء، ورأى علامات الفرح على وجه موزيتش الذى سلمه النقود، وطلب منه أن يوقع على إيصال كان قد أعده من قبل، لكن الرجل نظر إليه فى سخرية ورمى الإيصال دون أن يوقعه، وتهيأ للخروج وهو يقول:

ـ إلى اللقاء يا سيدى .. أرجو ألا تجعلك هذه الوثائق الهامة تموت من الذهول والدهشة .. سألقاك غدًا فى التوقيت نفسه لأسلمك ما لا يخطر ببالكم من وثائق .. طابت ليلتك .

يومها .. أمضى موزيتش ثلثى الليل فى الغرفة السوداء منكبًا

على تكبير صور الوثائق التى كانت تتألف من ٥٢ صورة وكان يقاوم بصعوبة رغبته الملحة فى قراءتها، ولكنه اخذ يطالعها فى دهشة وذهول.

وفى تلك الليلة شعر بأنه لم يكن يحلم بالحصول على مثل هذه الوثائق لأنها كانت تحوى أسرار العدو الكبرى الذى يحرص عليها بكل ما أوتى من وسائل ، وهى أسرار عسكرية وسياسية ذات قيمة لا يمكن تقديرها ، ولم يكن هناك ادنى شك فى صحتها.

وكان من بين هذه الوثائق، وثيقة تحوى معلومات دقيقة عن تسلل رجال الطيران الملكى البريطانى إلى تركيا «المحايدة» ، وعن العدد الهائل من هؤلاء الرجال الذين كانوا قد وصلوا إلى الأراضى التركية منذ بدء الحرب، وكان هذا العدد الكبير الهائل أكبر بكثير مما كان يظن.

وعندما اطلع السفير على الوثائق، كانت علامات الدهشة والاستغراب تبدو على وجهه بشكل واضح. ثم التفت إلى موزيتش وقال:

ـ هذه الوثائق مذهلة .. ولو أن هذا الرجل طلب أضعاف هذا المبلغ ثمنا لها لما اعترضنا..

ثم أضاف وقد بدت علامات الحيرة على وجهه:

ـ الآن يجب أن نطلق اسمًا مستعارًا على هذا الرجل نستعمله في مراسلاتنا. فهل فكرت في اسم معين نطلق عليه ..؟

أجابه موزيتش:

ـ كلا يا سيدي .. إنني لم أفكر بعد في هذا الأمر.

قال السفير :

ـ يجب أن ندعوه باسم يكون مجهولاً حتى منه. وبما أن هذه الوثائق فصيحة في أسلوبها كل الفصاحة .. فلنطلق عليه اسم «شيشرون[1]» .

وعن هذه التسمية يقول موزيتش في مذكراته:

ـ «لقد عمدنا خادم السفير البريطاني وهو في الخمسين من

(١) خطيب روماني عاش في عصر أوغسطس ويعد من أشهر خطباء الرومان، حيث سيطر على كل نثر العصر الأخير من الجمهورية الرومانية. وترك لنا شيشرون مجموعة مؤلفاته التي هي عبارة عن ٥٨ خطبة وسبع مؤلفات عن الخطابة وما يقرب من عشرين مؤلفا عن الفلسفة، وكان يتحكم بشكل لا مثيل له في اللغة اللاتينية حتى وصل بها إلى حد الكمال وجعل منها لغة من أعظم وسائل الدنيا للفكر والتعبير، حتى قدر أن يكون لها تأثير بعيد المدى على اللغات الأوربية الحديثة، وخاصة الإيطالية والفرنسية والإنجليزية .

وكانت الخطابة هي الأساس والمكانة الأولى في التعليم الروماني، ويقال إن شيشرون كان يجمع ثروة سنوية «تقدر بحوالي ٤٥ ألف دولار» من مرافعاته وخطبه، وكان قيصر القائد الأسطوري يعد التالي بعد شيشرون في الخطابة.

عمره، واتخذنا له اسم ذلك الخطيب الرومانى العظيم. وأغلب الظن أنه لاقى فيما بعد المصير نفسه. وإنى وإن كنت أزعم أننى أميل إلى شيشرون، فما كنت أتمنى ألا يصاب بمكروه. ولقد حاولت مخلصا أن أصون سره، مادام ذلك ممكنا ، وعلى كل حال سيظل هذا الرجل مذكورًا فى التاريخ بأنه أمد ألمانيا بأخطر الوثائق البريطانية وأعظمها سرا . وسيبقى معروفا للأجيال القادمة باسم «شيشرون»لا باسمه الحقيقى».

أما من الناحية الفنية ، فإن مجرد قيام خادم بهذا الدور دون أن يدعى أنه خبير فى التصوير، ظاهرة لها خطرها.. خادم كل سلاحه ماكينة تصوير عادية من طراز «لايكا» استعملها بمهارة فائقة .. وخلال قيامه بمهمة هذه ، لم يطلق رصاصة واحدة، أو يستخدم السم، أو يعرض حياة إنسان ، سوى نفسه ، للخطر.

إنه لم يرش إنسانا ، أو يبتز أو يخدع مخلوقا ، كما كان شائعا فى أغلب قصص الجاسوسية التى وقعت أثناء الحربين العالميتين .

لهذا كانت عملية «شيشرون» من الناحية الفنية عملاً كاملاً. أما من الناحية السياسية، فقد كانت خسارة البريطانيين بسببها قليلة، لعجز الزعماء الألمان عن الإفادة من المعلومات الحيوية التى أتيحت لهم عن العدو.

أسئلة بلا إجابات

يومها .. عكف السفير الألمانى «فون بابن» على دراسة الوثائق أكثر ساعات النهار حتى اقتنع تمامًا بصحتها ، وأرسل برقية شفرية إلى وزير الخارجية يبلغه بما فيها من شئون سياسية. أما المسائل العسكرية البحتة فقد سلمها للهر «رانكلر» الملحق العسكرى الألمانى بأنقرة لدراستها ثانية قبل إرسالها إلى القيادة العليا فى برلين.

وأمام هذا الدفق الهائل من المعلومات ، أثار موزيتش ورانكلر والسفير فى نقاشهم حول العملية وخطوطها الرئيسية مسائل كثيرة ذات أهمية فنية وهى:

ـ «كيف يستطيع خادم خاص أن يتوصل إلى هذه الوثائق السرية ..؟

ـ وهل هناك من يعاونه داخل السفارة البريطانية ..؟

ـ وهل يعلم أحد غيره بأمر تجسسه فى السفارة البريطانية ..؟

ـ وكيف أمكنه أن يصور الوثائق بمثل هذه الدقة والحرفية..؟

ـ وهل اختار بنفسه الوثائق الجديرة بالتصوير ..؟

ـ وهل يقوم بالتصوير داخل السفارة أو خارجها ..؟

ـ وما هى بواعث الرجل الأخرى الخافية بجانب ما يظهره من الرغبة فى الحصول على المال ..؟

ـ وما الدافع وراء كراهيته للبريطانيين حتى يتجسس عليهم..؟

ـ وكيف تسنى له أن يتمتع بثقة السفير البريطانى بوصفه خادمه الخاص ..؟

ـ وكيف استطاع التوصل إلى مفاتيح الخزائن السرية التى يحتفظ فيها السفير بوثائقه وتقاريره..؟

ـ ولماذا يلح فى أن ندفع له بالجنيه الإسترلينى، برغم أنها عملة نادرة فى تركيا.. ولا يقبل عليها الناس مثل الدولار أو الذهب..؟

ـ ثم .. ألا يتوقع مثلاً هزيمة بريطانيا وبالتالى تتدهور العملة البريطانية..؟ »

كل هذه الأسئلة دونها موزيتش ليناقش فيها شيشرون . وعندما التقى به فى اليوم التالى لم يشأ أن يسأله بكل ما برأسه

من علامات استفهام ، بل سأله فى ذكاء وهدوء أسئلة بسيطة أجاب شيشرون على بعضها إجابات معقولة، وسلمه فيلمين ثم طلب منه موافاته بآلة تصوير من طراز «لايكا» من برلين، لأن الآلة التى لديه كان قد استعارها من صديق له، وهو يخشى أن يبحث عنها فى محلات أنقرة حتى لا يثير الشبهات حوله.

فى تلك الليلة اتفقا على اللقاء فى مكان رأى خادم السفير أن يدل موزيتش عليه ، وقال له إنه سوف يطلبه تليفونيًا عندما يريد لقاءه. وأضاف أنه إذا حدد له موعدًا يوم «٨» مثلا فى محادثته عليه أن يدرك أنه إنما يقصد يوم «٧» ، أى قبل الموعد المحدد بـ ٢٤ ساعة ، وذلك خشية أن يكون التليفون مراقبا.

ثم صحبه فى السيارة، ودله على مكان مقفر خال بين منزلين فى المدينة القديمة، ليكون محل المقابلة، ثم طلب إليه أن يسير به تجاه السفارة البريطانية، فلما وصلا قريبا منها أشار عليه كى يتمهل ويهدئ ولا يقف عن السير، ثم سمع موزيتش صوت إغلاق باب السيارة، فلما التفت خلفه كان الرجل قد اختفى فى جوف الظلام .

وعاد موزيتش إلى السفارة الألمانية، حيث أخذ فى تحميض الفيلم ونشره كى يجف، ولاحظ أن النور ينبعث من منزل زميله

«رانكلر» فتوجه إليه وأمضى معه بعض الوقت، ثم عاد كى يستأنف عمله، فوجد لديه أربعين وثيقة سرية بريطانية وكان قد ألم بما فيها حتى الثامنة صباحا، فوضعها فى الخزانة وعاد إلى منزله بعد أن قضى ليلتين ساهرا لم يغمض له جفن، واستلقى لينام مدى ساعتين ونصف.

وفى الساعة الثانية عشرة كان فى حضرة السفير وبرفقته أربعون وثيقة ضمنها محضر المؤتمر الذى عقد فى موسكو وحضره «ايدن» و «كوردل هل» وكانت الموضوعات التى نوقشت فى هذا المؤتمر من الخطورة والسرية بحيث لم يفض بها تشرشل إلى مجلس العموم إلى فى جلسة سرية.

وكان عمله طوال الأسبوعين التاليين ينحصر فى كتابة رسائل بالشفرة لإرسالها إلى برلين ، وكان يقوم موزيتش ، لدواعى الأمن، بهذا العمل المضنى بمفرده.

وكان مما أضاف إلى متاعبه، أن برلين كانت دائبة السؤال عن شيشرون ، عن أصله ، وجنسه وسنه ، ومولده، وكان من الممكن الإجابة على بعض الأسئلة دون البعض.

قـــتلوا والـــدى

وكان كولتنبرونر قد تولى رئاسة «المخابرات السرية الألمانية» التى كانت تشرف عليها وزارة الخارجية ، وأخذ موظفو إداراته العديدون يوجهون أسئلة مختلفة إلى أنقرة عن شيشرون .. وفى يوم ضاق موزيتش ذرعا حين وصلته برقية تلومه لتقصيره فى موافاتهم باسم شيشرون الحقيقى، وسنه، فأرسل لهم الرد الآتى :

ـ «لم أتمكن إلى الآن من الوقوف على اسمه، ولا يستطاع التحقق من شخصيته إلا بالتحرى المباشر من السفارة البريطانية، وإذ كان هذا هو المطلوب فأرجو موافاتى بأمر كتابى».

وكان هذا فصل الخطاب، إذ لم يستفسروا بعد ذلك عن اسم شيشرون الحقيقى .

وفى يوم ٤ نوفمبر وصل رسول خاص من برلين وسلم موزيتش حقيبة بها ٢٠٠ ألف جنيه من ورق النقد الإنجليزى مخصصة لشيشرون.

وفى يوم ٥ نوفمبر سلمته سكرتيرته لدى عودته إلى مكتبه إشارة تليفونية هذا نصها:

«المسيو بيير يدعوه ليلعب معه البردج الساعة ٩ مساء ٦ نوفمبر» .

ففهم أن الموعد فى نفس الليلة لأن الفرق هو ٢٤ ساعة، فذهب إلى مكان المقابلة فوجده فى الانتظار ، وركب معه، وجلس فى المقعد الخلفى، ثم تولى توجيهه مرة يمنة ومرة يسرة ثم سأله إذا كان قد أحضر معه المبلغ، فرد بالإيجاب وناوله اياه، فدسه فى معطفه ثم سلمه شيشرون بدوره بكرة أفلام أخرى ... وسأله :

- إن برلين ترغب فى معرفة اسمك وجنسيتك؟

فأجابه:

- أن اسمى ليس من شأنك أو من شأن برلين ولن أبوح به لك فإذا أردت حقيقة أن تعرفه فما عليك إلا أن تبحث عنه بنفسك، ولكن احترس فى طريقة بحثك .. قل لبرلين إنى لست تركيًا وإنما أنا ألبانى »

فسأله عن سبب كرهه للبريطانيين فصمت برهة، ولعل السؤال قد أثاره، لأنه حين أجاب كان صوته متهدجا:

- البريطانيون قتلوا والدى.

وتأثر موزيتش لدى سماع هذا، فقد يكون ذلك باعثا أنبل من

مجرد التهالك على المال . واستغرق الرجل بعد ذلك فى سكون عميق.

ويحكى موزيتش بعد ذلك كيف ضمهما الصمت الطويل حتى نطق شيشرون بألم وهو يقول:

ـ إن أحد الإنجليز قتل والدى، ولو لم يقتله لما أصبحت يتيمًا، وربما تمتعت بطفولة أفضل.

ثم قال:

ـ إننى لم أعرف القاتل شخصيًا، لكننى عرفت اسمه بعد ذلك عندما كبرت قليلاً وبحثت عن أسرار مقتل والدى . لقد ذهبت لمقاضاة السلطات البريطانية المسئولة مطالبًا بالتعويض عن قتل والدى، ولم يكن المبلغ بالقدر الذى يرضينى، أو يجعلنى أكف عن كراهية هؤلاء الناس.

وأضاف فى تحد:

ـ الآن أنا أثأر لوالدى .. وأثار لنفسى أيضًا .. فهم فى السفارة البريطانية، فيما عدا السفير، يعاملون أمثالى من الخدم معاملة الحيوانات .

الجاسوس الكاذب

وفى مذكراته التى نشرها بعد ذلك ، يشير «شيشرون» إلى هذا اللقاء مع موزيتش قائلاً :

- «كان الغموض الذى يحيط بشخصيتى مثار تساؤلات تلح على الألمان ، بيد وأن الضغط على موزيتش من قيادته كان لا يطاق ، لذلك فقد سألنى وهو يرتجف خجلاً وخوفًا من ثورتى»:

- إن برلين تأبى أن تصدق أن رجلا واحدا يستطيع أن يلتقط كل هذه الصور بمفرده .. وهم يعتقدون أنه لابد أن يكون لك مساعدون.

- إن يدى هى مساعدى ، فلى يداى حاذقتان.

- تقول برلين أنه من غير المعقول أن تترك مثل هذه الوثائق السرية فى إهمال هكذا بالسفارة البريطانية.

- إنها ليست ملقاة هكذا كما تتصور برلين .. إن الوصول إليها مخاطرة جسيمة.

واستمر سيل الأسئلة:

ـ ولماذا تعمل لحسابنا ؟

ـ لأنكم تدفعون ثمنا طيبا .. وأنت نفسك تعلم ذلك.

ـ لابد أن يكون هناك سبب آخر.. وأريد أن أعرفه.

وكان صوت «موزيتش» ملئ بالإلحاح . ولم يكن هناك ريب في أن سادته في برلين لا يزالون في شك من ناحيتي ، وأن لديه أوامر مشددة للتحقق من شخصيتي ومن صحة المعلومات التي أقدمها له.

وكرر موزيتش تساؤله في هدوء وجد:

ـ اذكر لي السبب الحقيقي

وكنت أعرف ما يدور في ذهنه، فقلت :

ـ إنني أكره الإنجليز

وهكذا أعطيته ما كان يريد

وأدركت أنني أقنعت «موزيتش» فأضفت وفي صوتي ما

يوحى بأننى أسر إليه بذكرى تؤلمنى:

- لقد قتل أحد الإنجليز والدى ..

فليغفر الله لى .. لقد مات والدى المسكين فى سلام فى فراشه، ولكن .. ما علينا .. لقد أعطيت موزيتش ما أراد .. والآن يستطيع أن يبعث إلى برلين بسبب مقنع لتجسسى..

وبينما كان فكره مشغولا بالكذبة التى قلتها له ، طلبت منه أن ينزلنى فى شارع مظلم، وهناك توقفت لحظة وأنا أرتجف من تفكيرى فى إساءتى لذكرى والدى ..

ومع ضوء النهار تبخر تأنيب الضمير.

واستمر ضوء المصباح ذى المائة شمعة يتوهج فى غرفتى بالسفارة فوق الوثائق التى كنت أصورها والتى تتناول أخطر حقائق الحرب .

وطوال الفترة التى كنت أغوص خلالها فى أسرار البريطانيين، ناقلاً لها إلى الألمان، طوال تلك الفترة كنت أواصل أداء واجباتى كخادم خاص لصاحب السعادة السفير البريطانى بأقصى ما أستطيع من حذق وعناية.

لقد كنت أوقظه كل صباح فى الساعة السابعة والنصف، على كوب من عصير البرتقال الطازج ، وأصبح عليه ثم أفتح ستائر النوافذ قليلا ..

وكنت أشرف على إعداد الحمام، وأكوى بنطلونات صاحب السعادة وأحبك أزراره .

الإفلات من الفخ

ويضيف شيشرون:

- لم أكن أنبس بحرف فيه شكوى، وكان سعادة السفير السير «هيو ناتشبول هوجيسين» راضيا كل الرضا عن خادمه .. وكان الخادم راضيا كل الرضا عن سيده ..

لكن كان هناك من أنذر السفير بأن أسراره كانت تتسرب إلى الخارج. إذ كيف يمكن تفسير البرقية التى قرأتها بين أوراقه، والتى جاء فيها : «أن فون بابن يعرف أكثر مما ينبغى له أن يعرف»؟

وأثار علمى بأن السفير قد تلقى هذا الإنذار أعصابى ، حتى

أننـى أوقعـت ذات مـرة كـوب المـاء الموضـوع على المـائدة الصغـيرة المجاورة لفراشة بينما كنت أفتح صندوقـه، فتجمـدت فـى مكـانى من شدة الخوف. إلا أنه عاد ليغرق فى نومه مـن جديـد. وتنـهدت بارتياح.

وفى صباح اليوم التـالى، بينمـا كنـت أقـدم لـه عصير البرتقـال كالمعتاد، كانت بقايا الكوب المحطمـة لا تـزال علـى الأرض إلى جـوار فراشـه. ولـو أننـى رفعتـها أثنـاء الليـل لأدرك أن أحـدا قـد دخـل غرفته.

شرب السير هيو العصير كالمعتـاد . ثـم لمـح الكـوب المحطـم علـى الأرض، فقال: «لابد أننـى أوقعتها وأنا نائم.»

وبسرعة انحنيت عليها ، وبدأت أجمع القطع المكسـورة كمـا لـو كنت قد رأيتها فى تلك اللحظة فقط. فقال لى السير هيو:

«انتبه يا الياس حتى لا تجرح أصابعك.»

وصبـاح ذات اليـوم، اكتشـفت بطريـق الصدفـة أن رجـال الاستخبارات البريطانية وصلوا إلى السـفارة مـن لنـدن ، ولم أضيـع وقتـى . أسـرعت إلى غرفتـى وجمعـت النقـود والأفـلام وأجـهزة

التصوير، وحزمتها جميعا فى جاكتة قديمة من جاكتات السفير، وأخفيتها فى دولاب تحت السلم.

وما أن أنتهيت من ذلك حتى دق الجرس يستدعينى إلى غرفة السير هيو.

عندما دخلت غرفته وكان يجلس معه رجلان نظرا إلى باهتمام شديد فأثارا خوفى. ثم لاحظت أنه كان هناك رجل ثالث، نهض من ركن بعيد فى الغرفة. وكان راكعا على ركبتيه عندما دخلت . وكنت أعرف أن هناك خزانة سرية مخبأة فى الحائط فى هذا الركن.

قال لى السير هيو :

ـ احضر لنا شيئا من القهوة .

وبينما كنت أقدم لهم أقداح القهوة، كانت نظراتهم لا تزال تتابعنى باهتمام .

ثم سألنى السير هيو:

ـ كم مضى عليك فى خدمتى يا الياس؟

أجبت على الفور:

ـــ ثلاثة أشهر يا صاحب السعادة .

كان يكلمنى بالفرنسية، ثم قال لهم بالإنجليزية:

ـــ إننى مرتاح جدا إلى عمله.

ولم يعلق أحد منهم على ملاحظة السفير.

وقال لى أحدهم بالإنجليزية :

ـــ أحضر لى قليلا من اللبن ، من فضلك .

فأجبت :

ـــ نعم .. يا سيدى

ثم أضاف بالألمانية:

ـ .. وقليلا من السكر.

وكنت على وشك أن أرد عليه .. إلا أننى انتبهت للفخ الذى نصبه لى . فقلت له بالفرنسية:

ـ معذرة يا سيدى . أننى لا أفهم اللغة الألمانية جيدا.

وصوبت نظرى إلى عينى السير هيو رأسا وأنا أقول:

ـ أننى أعرف فقط بعض الأغانى الألمانية أحفظها عن ظهر قلب. ولكننى لا أفهم معناها جيدا .

وتطلع السير هيو إلى . إلا أننى كسبت الجولة. وانتهت المباراة فى صالحى.

هتلر والجاسوس

وفى تلك الليلةقلت لموزيتش رجل المخابرات السرية الألمانية الذى كنت أتعامل معه:

ـ «لقد بدأ رجال مخابراتهم السرية يراقبون كل شئ.»

وبعد أن أصغى باهتمام . وهو يقود سيارته فى شوارع الضواحى كعادته، سألنى:

ـ هل أنت متأكد من ذلك؟

قلت:

ـ نعم لقد أرسِلوا خصيصا من لندن.

ثم أبلغته أننى لست متأكدا من أنهم لم يفتشوا غرفتى، إلا أن بعض الخدم الآخرين قد شكوا من أن أمتعتهم قد فتشت.

وتبادلنا الأفلام والنقود .. وأنا أسائل نفسى : «هل تكون هذه هى المرة الأخيرة» ؟!.

وقلت له:

ـ لقد فحص أحد رجال المخابرات الخزانة السرية فى غرفة السير هيو.

ـ فى هذه الحالة .. ليس هناك ما تخشاه. فمن الواضح أنهم يبحثون عن ميكروفونات مخبأة. أنهم لا يدركون أن الشىء الذى ينبغى أن يبحثوا عنه هو آلات التصوير.

وملأ اطمئنانه نفسى بالارتياح . وارتسمت على شفتى ابتسامة عريضة وأنا اقول له:

ـ لو أن هؤلاء الرجال اكتشفوا ميكرفوناً مخبأ اليوم لفوجئوا مفاجأة عندما يسمعون التسجيل.

وبدت على موزيتش الدهشة وأنا أروى له كيف اشتركت أنا والسير هيو فى فاصل غنائى . وضحكنا ونحن نتصور ماذا سيحدث لرجال المخابرات الإنجليزية عندما يستمعون إلى هذا التسجيل.

ويضيف إلياس بازنا فى مذكراته:

ـ كانت الوثائق التى صورتها من أعظم الوثائق التى وقعت تحت يدى .

فقد كان معظمها يتعلق .. بجهود الحلفاء المستمرة لدفع وطنى ـ تركيا ـ إلى أتون الحرب فى جانبها . ويقال أن «فون ريبنتروب» وزير الخارجية الألمانية ظل جالساً صباح يوم بأكمله وهو يحدق بدهشة فى الوثائق التى سلمتها للألمان .

وأكثر من هذا ، أننى علمت فى سنة ١٩٤٤ أن هتلر شخصيًا كان مسرورا إلى أقصى حد من عملى. فقد قال لى ذات مرة الهر «جنكه» وهو من رجال السفارة الألمانية بأنقرة:

ـ لقد أمر الفوهرر بمنحك فيلا رائعة فى ألمانيا بعد الحرب مكافأة لك على خدماتك العظيمة لنا ..(!!)

علمت أيضا أن الهمسات عن الجاسوس الغامض فى السفارة الإنجليزية «شيشرون» كانت قد أخذت تتردد إلى شفاه الدبلوماسيين من الجانبين، حتى قال البعض:

ـ «شيشرون هذا مجرد خرافة لا وجود له بالأصل، ولا يوجد أحد بهذا الاسم . لقد اخترعت الدعاية الألمانية هذه الحكاية لإظهار مدى اختراقها للسفارة البريطانية ولا أكثر من ذلك» .

وعلى كل ... كانت كل هذه الأقاويل والتحليلات مدعاة لابتهاجى. وكان يسعدنى جدًا أن أعرف أننى أنا ـ الخادم البسيط ـ قد أصبحت شخصية دولية، ولو أنه لا يوجد من يعرف صاحبها.

بعد أن انتهى الحلفاء من مؤتمرهم فى القاهرة وطهران، التقى شيشرون بموزيتش وسلمه فيلمين بهما محاضر كاملة عن هذا المؤتمر . وأصبح لدى الألمان بذلك كل المعلومات السرية والاتفاقات

التى انتهى إليها مؤتمر موسكو الذى حضره ستالين وإيدن وكوريل هل، وكذلك مؤتمر القاهرة الذى شمل محادثات روزفلت وتشرشل وشانج كاى شيك، وبعد ذلك مؤتمر طهران الذى حضره الثلاثة الكبار.

لقد تحقق لموزيتش وهو يقوم بتحميض وتكبير ودراسة هذه الأفلام، بأن مصير الرايخ الثالث أصبح محتوما ، إذ قد قرر فى هذه المؤتمرات محوه من الوجود ومعاقبة زعمائه.

فانتابته رعدة وهو يقرأ الأفلام المسروقة.

وبدا فى إرسال البرقيات بمحتوياتها بعد موافقة السفير.

وفى اليوم التالى قابل شيشرون فسلمه بكرة أخرى بها خبر خطير: هو «سفر رئيس الجمهورية عصمت اينونو ووزير الخارجية التركية إلى القاهرة لمقابلة روزفلت وتشرشل» ، ولم يكن أحد فى تركيا أو برلين يعرف هذا النبأ إطلاقاً.

طلب فون بابن مقابلة «نعمان منعمنيوغلو» وزير خارجية تركيا، وتحدث معه حديثا طويلا على انفراد ، فلما حاول الوزير تبديد شكوكه فى خرق الحياد ويتردد «فون بابن» من مجابهته بأنه يعلم أكثر مما تتصور الحومة التركية، دون أن يذكر شيئا عن وثائق شيشرون.

لقد فعل لكى يجعل لتدخله وزنا، فأعلن اطلاع الحكومة الألمانية على هذه المحادثات السرية حتى يجعل الأتراك أكثر حذرا فى التزاماتهم العسكرية أثناء أحاديثهم مع الإنجليز، خشية ان يتخذ الألمان تدابير مضادة.

ولقد نجح «فون بابن» فى مسعاه، فأعرب وزير الخارجية عن أنه لا ينكر أن هناك قليلا من الاتصالات بين الخبراء العسكريين فى لندن أو أنقرة ، بيد أنه من الخطأ تعليق أهمية كبرى عليها.

وعقب خروج «فون بابن» استدعى وزير الخارجية التركية سفير إنجلترا وصارحه بكل ما سمعه من زميله الألمانى، ووافق الاثنان على احتمال تسرب الأسرار من الجانب البريطانى أو التركى. بدليل اطلاع فون بابن عليها.

وأخبر السفير البريطانى وزارة خارجية بلاده بتقرير عن هذه المقابلة .

وكان هذا التقرير أيضا فى يد موزيتش بعد إرساله إلى لندن بثلاثين ساعة.

السكرتيرة اللغز

وبحسه الأمنى كرجل استخبارات ماهر، أدرك موزيتش أن خادم السفير البريطانى ، شيشرون ، أصبح معرضا للخطر، إذ أن البريطانيين سوف يسعون بكل الطرق لمعرفة كيف تمكن السفير الألمانى من الحصول على هذه المعلومات، ومن يكون وراء تسريبها إلى الألمان من داخل السفارة البريطانية فى أنقرة بمثل هذه السرعة.

لذلك .. فقد أرسلوا سكرتيرة ذكية مدربة تدريبًا عاليًا للعمل بالسفارة الألمانية فى أنقرة، وهى فى الأصل فتاة ألمانية الجنسية، تعشق شابًا أمريكيًا، حتى أنها على استعداد لبيع كل ثمين فى سبيل الاحتفاظ بهذا الحب الذى غمر حياتها.

كانت الفتاة، واسمها «اليسابت برج» [1] ، ابنة دبلوماسى ألمانى فى صوفيا، بدت كفتاة مرهقة الأعصاب بسبب الحرب والغارات المتصلة، مما دعا والدها إلى رجاء الملحق الصحفى فى سفارة ألمانيا

---

(١) جاء فى مصادر أخرى، منها مذكرات شيشرون نفسه، أن اسمها «كورنيليا كاب».

بأنقرة، إلى تدبير وظيفة لها فى بلد محايد .

ولأنها تحمل مؤهلات لا بأس بها من ناحية اللغات ، إلى جانب خبرتها فى أعمال السكرتارية، مع نشأتها وزمالة والدها، رأى موزيتش أنه يمكن الاعتماد عليها والثقة بها، خاصة وكان بحاجة ماسة إلى سكرتيرة تساعد سكرتيرته المصابة فى يدها.

التمس موزيتش موافقة السفير، وكان أيضًا يعرف والدها، فوافق على الفور على نقلها إلى أنقرة برغم اعتراض الخارجية الألمانية التى رأت إرسال أحد السكرتارية من الذكور لهذا العمل خوفًا على أمن شيشرون. فلم يرض موزيتش وأصر على إلحاق الفتاة بالعمل معه.

ووصلت الفتاة إلى أنقرة فى الأسبوع الأول من يناير ١٩٤٤ ، ولما قابلها موزيتش لأول مرة فى المحطة لم تترك أثرا طيبا فى نفسه.. كان مرآها لا يبهر النفس، فهى وإن كانت فى العشرين ، شقراء ، معتدلة القوام، إلا أن فى نظراتها كآبة ، وفى تعبيرها غشاوة، وفى مظهرها إهمال .

ولدى وصولها إلى المنزل، ارتاعت زوجة موزيتش من منظرها،

ورائحتها!! ، وعلى استحياء طلبت منها الاستحمام ، ولكنها رفضت وجلست إلى المائدة، دون حتى أن تغسل يديها، ولم تتكلم أثناء الطعام، ولو فى توافه الحديث الاجتماعى، فبدت له، من اللحظة التى رآها فيها كأنها لغز مبهم.

وقام بتهيئة مكان بأحد الفنادق، فانتابها مرض، ووجد أنها نافرة بالطبع، وعزا ذلك إلى كثرة تناولها العقاقير المنومة، فنقلها موزيتش إلى منزل أصدقاء له، ولكنها ظلت لا تستجيب لشىء ، وأحيانا كانت سريعة الاستفزاز، حادة الطبع.

وبعد عشرة أيام قرر الطبيب عودتها للعمل، فكلفها بأعمال بسيطة فى ترجمة الصحف الإنجليزية والفرنسية، فكانت نتائج عملها غير مرضية لكثرة الأخطاء ، والسهو، وهذا بالطبع لم يكن يتوقعه، فهى على مؤهلات ممتازة فى اللغتين إذ أنها تتكلمهما بطلاقة ولهجة ليس فيها أثر للكنة الأجنبية.

ولاحظ موزيتش أيضا، أنها لم تعتن إطلاقا بمظهرها وهيئتها منذ اليوم الذى قابلها فيه، وكان يظن أن وعثاء السفر، أو اعياء الرحلة، أو غارات صوفيا، من أسباب هذا الإهمال المزرى بمظهرها، ولكنها ظلت كذلك حتى ضاق بالأمر.

وفى يوم كانت تعرض عليه أوراقا فأحس برائحة كريهة تنبعث من رأسها، فأسر لسكرتيرته الأولى كى تفضى إلى الفتاة بلباقة بأن فى أنقرة محلات كوافير ممتازة ! ولما كانت الفتاة شديدة الحساسية فقد أدركت أن الاقتراح صادر عنه ، فحنقت عليه فى نفسها، وأشعرته بذلك حين تعمدت عدم التحدث إليه إطلاقا لعدة أيام .

لقد كان كثير الاطمئنان إلى «اليسابت» ، وكانت هذه هفوة عظمى، دفع ثمنها فيما بعد، بل لقد كان على خطأ حين أبى أن يتدخل فى أمورها الخاصة، فقد علم أن لها علاقة بأحد الطيارين الألمان الفارين الموجودين فى أنقرة ، وحاول أن يتجاهل ذلك على اعتقاد ان حياتها الخاصة هى ملك لها، لا دخل له فيها.. لقد كان من الناحية النظرية فى جانب الصواب. ولكن إن جاز هذا فى الأعمال التجارية، فلا يجوز فى أعمال فيها أوراق سرية كوثائق شيشرون.

وغادرت «اليسابت» منزل أصدقائه وأقامت فى مسكن فى أنقرة، ولو أنه قد كلف نفسه التحرى عنها لوجد ان موظفا فى السفارة البريطانية يسكن فى الطابق الذى فوقها.

حقا أن معظم النار من مستصغر الشرر، لقد قامت اليسابت

بدور هام فى عملية شيشرون أفضى إلى كارثة، ولو كانت أحبته لما اتخذت لنفسها هذا الدور الذى قامت به، وإذا رجع إلى الماضى لذكر المناسبة التى بدأت تكرهه على أثرها. لقد كانت امرأة عصبية، وكان الحادث تافها.

ويقول موزيتش عن هذه المناسبة:

«فى ذات يوم كنت أملى عليها رسالة فى مكتبى، وكانت جالسة ملتفة الساقين بحيث تكشف عما فيهما من فتنة . وحقيقة كانتا على قسط وافر من حسن الهيئة، واعترف بأن هذا الوضع قد ضايقنى وشتت أفكارى ، بينما كنت أذرع الغرفة جيئة وذهابا أثناء املائى، وبعد لحظة، وقفت ، ثم جذبت ثوبها إلى أسفل قليلا مبديا ملاحظة فيها مداعبة ، فاحتقن وجهها غضبا، ولم تقل شيئا ، ولكنى تأكدت فى هذه اللحظة .. إنها كرهتنى».

وبدا له أن «اليسابت» قد غيرت حالتها، فخرجت من صمتها وبدأت تتكلم وتستنكر فى حماسة انضمام أفراد من الألمان إلى الأعداء، أثناء اشتغال بلادهم فى كفاح موت أو حياة.

فأخذت موزيتش الدهشة لحماستها وهى التى لا تستثار أو

تهتم بشىء ، وبدأت تكثر من الكلام ، وتقبل الدعوة إلى الحفلات، وتضحك ، وتمزح ، وبدت عيناها تشعان بالنور، وتراءى له أن آماله قد تتحقق فى الحصول على ثقتها.

وجرى بينه وبينها حديث لم يأبه له فى حينه، وأن كان له دلالة إذا ما تأمله على ضوء ما وقع.

فرملة الخطر

كانا منفردين فى مكتبه، كل منهما يقوم بعمله، وإذا بها تلتفت إليه قائلة:

ـ هل تعتقد أن ألمانيا ستكسب الحرب؟

ـ طبعا اعتقد ذلك.

ـ وما الذى يجعلك تظن ذلك، والموقف يبدو سيئا فى كل الجبهات؟

ـ نعم أن الأشياء تبدو سيئة، ولا أظن أن هناك معجزات فى القرن العشرين. فبالعتاد الأمريكى وموارد الرجال الروسية.. قد خسرنا الحرب نظريا .. ولكن العتاد والإعداد ليسا كل شىء .. هناك السياسة والدبلوماسية ... فإن الدولة تخسر الحرب نهائياً ..

إذا هزمت فى هذين الميدانين..

ـ وإذا وقع ذلك ؟

ـ تكون هذه إرادة الله .. وليس فى مقدورنا ما نعمله.

ـ ولكن .. أليس لنا مخرج؟

ـ ليس للأفراد .. على الأقل لا أظن ذلك .. إن مثلنا مثل راكبى قطار سريع جدا مقبل على تصادم خطير ، فمن المحتمل أن يدق عنق المرء إذا قفز منه، تماماً كما لو بقى فيه.

ـ وما رأيك فى «فرملة» الخطر؟

ـ إن ما تقولينه يماثل محاولة وقف عجلة القدر، وإنى شخصيا لن أحاول ذلك من أجل نفسى فقط.

ـ وماذا ترى فى حوادث الهروب التى وقعت فى استانبول؟

ـ لا أرى فيها شيئاً يذكر، فقد قفزوا من القطار بعد الأوان.

ـ توجد حوادث مماثلة فى أستوكهولم ، ومدريد . أليس كذلك؟

ـ هذا ما سمعته ..

ـ ألا يوجد ألمان كثيرون قد انقلبوا خونة فى هذا الوقت؟ وهل

تساءلت عن السبب الحقيقى؟

- يبدو لى أن الناس يصدمهم ارتكاب الخيانة، حتى أنه لتعوزهم الشجاعة فى البحث عن الأسباب المؤدية إلى هذا الفعل، وكما تقولين لقد أصبح هذا العمل شائعاً الآن . ولكن الأمور النفسية لم تكن من صفاتنا القوية نحن معشر الألمان.

وساد الصمت بعد ذلك. وفى اليوم التالى لاحظ موزيتش أنها تبكى بحرارة ولم تبد أسبابا لذلك ، فطيب خاطرها وطلب منها أن تستريح.

وفى يوم آخر جلست للعمل بدل سكرتيرته الأولى التى مرضت، وسهرت معه أثناء التحضير لطائرة البريد، حيث يكثر العمل فى ذلك اليوم، وغادرها فى المكتب تاركا مفتاح الخزانة، فلما توجه إلى منزله تذكر فعاد بالتالى ليأخذه فوجدها جالسة تنجز العمل، فلما لاحظت أنه عاد ليأخذ المفتاح سألته إذا كان لا يثق فى أمانتها؟

فحاول أن يقنعها بأنه على العكس يأتمنها تماما، ولكنها ـ وقد دمعت عيناها ـ أحست بأنه مس إحساسها، ثم انصرفا بعد ذلك صامتين.

ولاحظ عليها موزيتش بعد ذلك أنها كثيرة البكاء حتى أن ذلك أثر فى العمل بالسفارة فذهب واطلع السفير على ذلك، وبالنظر لصلته الودية بوالدها، اقترح ان يكتب له خطابا شخصيا يخبره بحالتها ويطلب اليه أن يحضر لأخذها، مع أخبار برلين أنها مريضة وفى حاجة إلى العلاج .

فاغتبط لهذا الحل الدبلوماسى ، ولكنه أخفى ذلك طبعا عن أليسابت.

وفى الوقت نفسه أصبح موزيتش لا يقابل شيشرون، ولو أن آخر فيلم له قد كشف عن اللفظة الشفرية «الكودية» لعملية الغزو الكبرى، وكانت برلين تجد فى البحث عن معناها ومرماها وهى : "Overlord" .

فلما أبرق إلى برلين بأنها هى عملية الجبهة الثانية، كان ردها: «ممكن» ولكن «غير محتمل!» فلم يتبينوا ذلك إلا وقت حدوثه أى فى ٦ يونيه ١٩٤٤ ..

وكانت هذه المعلومات هى آخر ما قدمه له شيشرون فى أوائل

مارس .. ولعل شرهه للمال كان قد ارتوى أو أن عمله أصبح محفوفا بأبلغ الأخطار ..

ومع ذلك فقد قابله مرة أو مرتين قبل ذلك اليوم المشئوم ٦ أبريل سنة ١٩٤٤ ، والذى يظن أنه قد قرر مصيرهما معا .

وفى هذه الفترة تقريبا أرسل موزيتش إلى برلين تفصيل حساب المبالغ التى استولى عليها شيشرون منه ومقدارها ٣٠٠ ألف جنيه إنجليزى.

وشاء القدر فى نهاية شهر مارس أن تعلم «اليسابت» سر عملية شيشرون بطريق المصادفة عندما فضت خطابا غفل مرسله فى برلين ان يضعه فى ظرف خاص مكتوب عليه «سرى للغاية ـ ولا يفتح إلا شخصيا» وكان موزيتش فى ذلك الوقت غائبا فى استنابول ، فلما عاد ساوره القلق، وزاد اضطرابه حينما سألته:

ـ من هو شيشرون؟

وتجاهل السؤال ..

فلما كررته ، أجابها بأن لا تسأله تفسيرا، فعاتبته فى ابتسامة على عدم ثقته بها، ولكنه عرف أنها أدركت من اطلاعها على

الخطـاب أن عمليـة شيشـرون تجـرى وقائعـها فـى السـفارة البريطانية.. ولم يشتبه فى سؤالها ولا فـى أنـها كـانت عينـا للعـدو عليه، فهو برغم كرهه لهـا، لم يكـن يظـن إطلاقـا أنـها، وهـى ابنـة رجل دبلوماسى محترم يحتمل أن تكون يوما، جاسوسة من عمـلاء العدو السريين .. وعـزا أسـئلتها إلى مـا تتصـف بـه المـرأة مـن حـب الاستطلاع.

وبعـد بضعـة أيـام طلبـت منـه ، أثنـاء توصيلـها فـى سـيارة إلى المدينة، أن يساعدها فى شراء ملابس لهـا مـن متجـر فـى الطريـق الرئيسى، حيـث كـانت لا تلـم باللغـة التركيـة، فوافـق علـى رأيـها حتى لا يكدر صفوها .

فأخذت تستعرض الملابس، ولا تحزم أمرها فى الاختيـار حتـى دخل «زبون» آخر ، كان هو شيشرون فتجاهله موزيتش وتظـاهر الآخر بأنه لا يعرفه.

ولما كـانت معرفتـه باللغـة التركيـة محـدودة، تطـوع شيشـرون لمساعدة اليسـابت، وفـى أثنـاء ذلـك تضاحكا كأنـهما علـى معرفـة قديمـة، ثـم دفـع حسـابه، وانحنـى لاليسـابت بالتحيـة، وغمـز لموزيتش بعينه وانصرف ..

ولم تكن اليسابت تعلم أن هذا الشخص هو شيشرون، الذى باعت وطنها من أجله ، وجاءت خصيصاً إلى تركيا للقضاء عليه، وعلى رئيسها موزيتش.

وهناك حادث آخر لم يأبه له موزيتش فى وقته وإن كان يدل على ما حدث بعد ذلك، هو أنها ألحت عليه فى إلحاق صديق لها، وهو الطيار الألمانى «هانز» لكى يعمل فى السفارة بمكتبه، أو يكون سائقًا لسيارته ..

فتذكر ما كان يذاع عن علاقتها باثنين من الطيارين ، وجاءه الطياران فعلا لمقابلته وتحدثا إليه فى أمر ألحقاهما بعمل يستطيعان فيه أن يسديا نفعا للوطن، مقابل قدر من المال يكفيهما .. وافهمهما بأنه لا يستطيع تعيين أحد منهما إلا بعد استشارة برلين .. فانصرفا حانقين، وحنقت اليسابت لرفضه مساعدة صديقيها.

وقال له الملحق الجوى فى السفارة الألمانية عقب ذلك : أن هناك مكاتبات تدور بشأن هذين الطيارين لتحرى أمرهما، وأنه علم بالعلاقة التى بينهما وبين سكرتيرته، وطلب منه أن ينهاها عن هذه الصلة المريبة .

هــروب الجــاســوسة

وذات يوم كانت أليابست تعرض ترجمة بعض مقالات الصحف الأجنبية عليه، فإذا به يجد الترجمة سيئة للغاية ، فأمرها بأن تعيد صياغتها مرة ثانية، ورمى بالورق إليها فى غضب ظاهر، فتناولت اليسابت الأوراق وقد أصفر وجهها حقدا، ورمقته بنظرة قاتلة، وذهبت إلى غرفتها وارتمت على الكرسى باكية .. فذهب إليها ليسترضيها، قائلاً لها: انه شخصيًا يتحمل لوم السفير فى بعض الأحيان إذا وقع فى خطأ . فكانت إجابتها : أنها تتألم من الأسلوب الذى يتبعه فى عدم الثقة بها، فهو لا يعهد إليها إلا بالترجمة المملة دون أى عمل آخر .. فأجابها بأنها إذا كانت غير راضية عن عملها الحالى فالأفضل أن تعود إلى عملها القديم فى صوفيا .. فرفعت رأسها قائلة :

ـ إذن أنت تريد أن تتخلص منى؟

ـ لا .. لا أرغب فى أن تذهبى ، ولكن إذا كنت غير سعيدة هنا فأنا لا أحاول منعك.

فنهضت على أثر ذلك وخرجت من الغرفة مسرعة وأغلقت الباب فى عنف ، وبعد نصف ساعة عادت واعتذرت عن مسلكها .

وفى يوم الاثنين ٣ أبريل طلبت منه أجازه بضعة أيام بمناسبة عيد الفصح كى تمضيها مع والدها فى بودابست فتظاهر بالتجهم والعبوس.. وقال لها أن أمامها عملا كثيرا يجب إنجازه، فوعدته بأن تتمه يوم الخميس كى تلحق الطائرة من استانبول .

ولما أخبر السفير بذلك أمر بكتابة خطاب تفسيرى لوالدها فى نفس الطائرة .. ولم تظهر الفتاة بالسفارة يومى الثلاثاء والأربعاء، وكانت مبتهجة تغنى لنفسها أثناء أداء عملها فى الترجمة يوم الخميس. وذهب فابتاع لها تذكرة فى القطار يوم ٦ أبريل سنة ١٩٤٤ وقال لها : إنه سيذهب إلى المحطة مساء اليوم ليراها ويودعها بنفسه فقالت له:

ـ إذن لن أودعك الآن ما دمت سأراك قبل رحيلى.

وعند انصرافها من السفارة كانت باسمه ولعلها المرة الأولى التى شاهد فيها دلائل السعادة مرتسمة عليها.

وذهب إلى المحطة، وكان هناك فون بابن فى وداع زميله السفير الأسبانى العائد إلى مدريد.

ووقف موزيتش فى مدخل المحطة يحمل تذكرتين: الأولى للقطار، والثانية للطائرة .. ولما لم تحضر الفتاة ساوره القلق ولدى خروج السفير قبيل تحرك القطار قال له:

ـ ألم تحضر سكرتيرتك بعد ؟

ـ لا يا سيدى !

ـ لعلها تريد أن تظل «نكدية» حتى آخر لحظة، من المحتمل أن تحضر والقطار يتحرك. إن بعض النساء يفعلن ذلك.

وذهب السفير، وسافر القطار، ولم تحضر الفتاة.

وذهب موزيتش يبحث عنها حيث تقطن مع صديقة لها من السفارة، فعلم انها خرجت بحقائبها ولم تترك شيئا من ملابسها فى غرفتها.

فلما عاد وأبلغ فون بابن بما حصل، كان غضبه عظيما...

ونصحه بأن يبحث، ولا يبلغ البوليس التركى إلا إذا فشلت المساعى فى البحث.

وأخذ يسأل عنها كل من له صلة بها، وذهب إلى كل مكان يظن إنها كانت تتردد عليه، دون جدوى. وقبل منتصف الليل ذهب إلى

محل إقامة الطيارين «هانز» و «فريتز» ففتح لـه أحدهما البـاب، وكان مرتديا ثياب النوم، فسـأله عنـها، فأجابـه أنـه لم يرهـا منـذ عدة أيام. وحاول فى غير طائل أن يعلم منه شيئا ، وبعد أن خـرج سمع غلق الباب خلفه بعنف وإيصاده بالمفتاح.

قال لنفسه لعلها قـد حـذت حـذو الهـاربين فـى اسـتانبول، أنـها حينئذ تكون قد قضـت عليـه قضـاء مبرمـا، ولكنـه اسـتبعد هـذه الفكرة لأنها تنـحدر من أكرم الأسر فى ألمانيا ووالدها رجل فـاضل ، وفى السلك الدبلوماسى.

فاتصل بوزير الداخلية التركية وكان يعرفـه، وطلـب مقابلتـه، ورجاه مساعدته فى البحث عن فتاته فأجابه قائلا:

ـ إن سكرتيرتك على ما أظن قـد سـلكت مسـلك الهـاربين الألمـان فى استانبول، بل ليس عندى شك فى أنها فعلت ذلك.

ثم أضاف وهو يسير معه إلى البـاب:

ـ أتمنى أن أكون على خطأ .. من أجلك.

وكان لابـد مـن إبـلاغ برلـين، فجلس يكتـب أصعـب رسـالة فـى حياته قال فيها أن سكرتيرته اختفت ولم يقف لهـا إلى أثـر، وإذا لم

يتحقق أمر انتحارها أو وقوع حادث لها، فأغلب الظن أنها هربت وانضمت إلى البريطانيين .

وفى اليوم الخامس من فرارها وصلته إشارة من كولتنبرونر رئيس المخابرات السرية الألمانية ، يأمره بالحضور إلى برلين فورا، فسافر إلى استانبول يوم ١٢ أبريل، واستعار سيارة صديق لعله يعثر عليها ولو مصادفة، وكانت الطائرة المسافرة إلى برلين تصل يوم ١٣ فى المساء كى ترحل فى الصباح التالى .

فذهب يسأل فى القنصلية عن بريد له فوجد رسالة من كولتنبرونر ومن وزير الخارجية يحملانه التبعة فى ذلك الحادث لأنه هو الذى ألح فى سرعة نقلها من صوفيا إلى أنقرة، وقبل أن يعيد الخطابين إلى مكانهما فى الحقيبة وجد رسالة معنونة باسمه، ففضها وارتعدت يداه عند تلاوتها ..

كانت رسالة من صديق له فى وزارة الخارجية يحذره من انه «إذا وطأت قدماه أرض ألمانيا فسوف يقضى عليه. فإن المراجع العليا تتهمه بتشجيع الفتاة، بل ومساعدتها على الهرب» .

حرب الأعصاب

وكان الغد موعد الطائرة المسافرة إلى برلين، ولم يكن يدرى ماذا يصنع، لأنه أن سافر كان مصيره السجن أو معسكر الاعتقال، لدى وصوله، وقد يرمى بالرصاص بعد ذلك.. وكيف يتسنى له تبرئة نفسه من تبعة هرب اليسابت، ومن ناحية أخرى إذا ظل فى مكانه كان مخالفا للأمر عن عمد، بجانب أنه اعتراف صريح بالأثم.

لقد ظل يجوب شوارع استانبول ساعات طويلة دون أن يجد صديقا يلتمس عنده النصح أو يلقى المعونة، وأخيرا فكر فى حل مؤقت هو إبلاغ رؤسائه فى برلين ، بأنه مريض، ولا يسمح له لطبيب بركوب الطائرة.

وعاد إلى الفندق وقد اضناه التعب فلم يكد يبلغ غرفته حتى دق جرس التليفون واستمع إلى صوت يحدثه بالإنجليزية يقول:

ـ أحدثك نيابة عن البريطانيين . أنك لو سافرت إلى برلين غدا كان رميك بالرصاص محققا .. نحن نرغب فى إتاحة الفرصة لك.

انضم إلينا لتنجو بحياتك، وحياة زوجك ، وأطفالك!

ـ هذا مستحيل!

وبدلا من أن ينام عزم على الخروج ثانية، وإذا بالتليفون يدق، وكان المتحدث يتكلم الألمانية بلهجة أجنبية:

ـ فكر بحكمة وتعقل.. البريطانيون انسانيون .. تعال إلى القنصلية وتحدث إلى مستر ...

وبعد دقائق قليلة دق التليفون:

ـ الدكتور «ب» يتكلم ـ أنت تذكرنى أليس كذلك ؟ (وهو رجل من فينا لم يكلمه قبلا وإن كان يتبادل معه التحية إذا قابله فى الطريق)..

ـ أصغ لى جيدا ، كلفت بأن أقدم إليك عرضا لإنقاذ حياتك، ولا تخش شيئا يكون قد بدر منك، أثناء أداء واجبك..

البريطانيون يعلمون أنك رجل عمل على تنفيذ الأوامر.. فى مقدورى أن أقابلك الليلة، لأفضى إليك بما يرغب البريطانيون فى أن يعرضوه عليك .. لقد كنت فى خدمتهم مدة طويلة .. هل تقابلنى؟

ـ لا أستطع أن أفعل، لأسباب عملية وشخصية ، فإن أسرتى

تقيم فى ألمانيا .. هذا إلى أن الهرب الآن ، عند جنوح السفينة للغرق .. لا .. لا أستطيع أن أفعل هذا .. أتفهم ما أقول؟

ـ أفهم ، بالطبع . ماذا عن المستقبل ، عن أولادك ؟ إن هذه الفرصة لن تتكرر .. بالإضافة إلى أن ألمانيا إذا خسرت الحرب فستكون مسئولا عن بضعة أشياء ، لو ظللت حيث أنت الآن .. إن هذا ليس وعيدا.

ـ لا أستطيع أن أفعل هذا يا دكتور .. أعترف بأنك تقصد الخير ، أشكرك...

ترك سماعة التليفون ونزل مسرعا ، وطلب إلى عاملة التليفون أن لا تحول إليه أية مكالمات من الخارج، لأنه يود أن ينام، وترك لها عشرة جنيهات تركية.

وعاد إلى غرفته ولم يكد يخلع ملابسه حتى دق التليفون فأدرك أنهم دفعوا لها أكثر مما دفع .. فتجاهل الدق ، ولكن إزاء استمراره تناول السماعة وإذا به صوت يقول:

ـ إذا سافرت إلى برلين قضى عليك .. فكر قبل فوات الأوان . عند ذلك تناول «مطواة» وقطع بها أسلاك التليفون، وتساءل إذا

كان الباعث له على ذلك عدم رغبته فى السماع، أو لأنه بدأ يشك فى مدى مقدرته على المقاومة .

جاسوس يرشد عن جاسوسة

لم يستطع موزيتش يومها أن ينام ، وفى الثانية صباحا نزل إلى بهو الفندق، ليكلم زوجه التى كانت بانتظاره ، ويوصيها بأن توصد الباب جيدا وتراقب أطفالها ، لقد طرأ بباله أنهم ربما حاولوا خطف أطفاله كى يرغموه على الهرب إليهم.

وسافرت الطائرة دونه إلى برلين، وعاد فى القطار إلى أنقرة. وهناك كان قد ذاع أمر هرب سكرتيرته ولم يكن يدرى أحد إلى أين ذهبت، ولكنه علم الحقيقة من شيشرون.

فإنه فى اليوم التالى لوصوله من استانبول اتصل به وقابله فى منزل صديقه وكان فى حالة عصبية ظاهرة. وقال له: إن سكرتيرته تقيم فى أنقرة لدى البريطانيين، وأرشده إلى عنوانها، ثم سأله ما إذا كانت تعلم عنه شيئا .

ولم يكن موزيتش يدرى مدى علمها ، وإنما كان كل ما يعرفه ظنا واستنتاجا فقال:

ـ إنها تعرف اسمك الشفرى .. وربما أكثر.

فحملق شيشرون فى وجهه بشدة، وأصفر ، وكاد ينهار وهو يقول:

ـ وهل أنت على يقين بأنها لم تأخذ إحدى صور الوثائق معها؟

فأكد له أن الصور كاملة لديه فى الخزانة، لم ينقص منها شىء، فأطمئن شيشرون قليلا. ونصحه موزيتش بأن يبارح أنقرة بأسرع مما يستطيع، فصمت ولم يحر جوابا. ثم نهض وقال أنه يود الانصراف ، وكان يبدو على وجهه كل ملامح القلق الشديد، والهم ، وفى عينيه يكمن الخوف والروع ثم قال:

ـ إلى اللقاء يا سيدى!

ولأول مرة ناوله موزيتش يده فصافحه بفتور، ثم خرج من المنزل مسرعا وغاص فى الظلام ولم يره ثانية.

وكان أول شىء أجراه موزيتش لدى عودته إلى مكتبه هو تفقد محتويات خزانته بدقة، فوجد أنها لا تنقص شيئاً ، فاطمأن إلى أن الشىء الوحيد الذى تستطيع اليسابت أن تفضى به إلى العدو هو معلوماتها ، إن لم تكن قد نقلت صورا لبعض الوثائق . ولم يذهب للسفارة لأنه يعد رسميا فى كشف المرضى.

ولما أخبر السفير بما حصل حظى بعطفه كالمعتاد ، حيث طلب

منه أن يستريح .

وفى هذه الأثناء لم يصل إليه أى تعقيب من برلين عن رحلته أو عن مرضه، وكان ذنبه فى نظر رؤسائه أنه الح فى طلب نقل «اليسابت» ، ولم يستطع أن يدرك أو يمنع انضمامها إلى معسكر الأعداء.

وبعد بضعة أسابيع أستأنف عمله فى السفارة، فكان لديه إحساس بأن كل إنسان يحدق فيه، وكان يظن بأنهم يتهامسون عن فرار سكرتيرته، بل بدأ يحس، ويحتمل أنه كان واهما، بأنه منبوذ أو متجنب .

وفى يوم من الأيام زاره فريتز وهانز ، الطياران الألمانيان الهاربان وقالا له : «انهما مكلفان من قبل السفارة البريطانية ليخبراه بأن يضع نفسه تحت تصرفهما، دون أن يخشى شيئاً ، أما إذا ألجأه الحمق إلى رفض هذا العرض فعليه أن يلزم الحذر»..

فلم يجب بشىء سوى إغلاق الباب فى وجهيهما.

ومرة أخرى كان يتناول العشاء فى السفارة اليابانية فطلبته الخادمة فى التليفون، فجاء مسرعا إلى المنزل ليجد رجلا جالسا وكان ألمانيا يعرفه من مدة طويلة، فبدأ حديثه بالاعتذار إليه عن

زيارته فى هذه الساعة وبهذه الطريقة، ثم قال:

ـ أننا نعلم أنك لست بالشخص المقبول Persona Grata فى برلين، وأن هذه هى فرصتك الأخيرة لكى لا اطلب منك الفرار ، وإنما أريد ان تقابل شخصا معينا فى السفارة البريطانية، لتشاوره فى الأمـر، إن هذا لا يورطـك فـى شـىء .. البريطـانيون يعدونـك رجـلا كفئـا يعتمد عليه، وأنك بالطبع مدرك أن ألمانيا قد خسرت الحرب.

لقد كان يعرف هذا الرجل منذ سنين عدة، ولم يكن يعلـم انـه قد لجأ نهائيا إلى العدو، فأجابه على حديثه بأنه لا يمكنـه أن يفـر و ينضم إلى العدو. وأنـه يرجوه أن يفهم البريطانيين كـى يكفـوا عن محاولتهم معه، فإن فى هذا مضيعة للوقت.

وانصرف الزائر، وكانت هـذه آخـر محاولـة بذلها البريطـانيون مـع موزيتـش لكـى يـترك منصبـه. ولم يكـن مـن اليسـير عليـه أن يناهض هذه العروض، أنها كادت تأتى على معظم ما حباه الله مـن قوة أعصابه وفى نفس اليوم وصله خطاب آخر من برلين يقول:

«ليكن فى علمك أن تحقيقا قد بـدأ لتحديـد مـدى إدانتـك فـى مساعدة وإغراء سكرتيرتك على الهرب والانضمام إلى العـدو يـوم ٦ أبريل» .

وكانت هذه ضربة قاصمة سار على آثرها إلى منزله، فما يرفـع

قدما أو يضع قدما إلا ردد وقعها الكلمات الأخيرة التى قرأها.

كانت هذه رواية موزيتش التى حكى فيها بصدق كيف خدعته سكرتيرته الجاسوسة البريطانية من أجل كشف سر «شيشرون» ، مضحية بوطنها، ألمانيا، بسبب الحب الجارف الذى ربطها بحبيبها الأمريكى الذى لم يجئ اسمه بالمصادر.

لقد خانت هذه العاشقة المتيمة، نعم ، لكنها استغلت مهارتها بذكاء تحسد عليه فى خداع ضابط المخابرات الألمانى نفسه، وعملت بأعصاب باردة من داخل السفارة الألمانية نفسها دون أن يتطرق الشك لرئيسها فى أية تصرفات بدرت عنها.

الصياد والفريسة

لكن .. ترى ماذا قال شيشرون أيضا عن الجاسوسة التى اقتحمت حاجز السرية وكادت أن تكشفه وتقضى عليه..؟

يقول فى مذكراته:

ذات يوم اتصلت بالسفارة الألمانية لتحديد موعد مع موزيتش أسلم فيه فيلما جديدا وأخذ مستحقاتى المالية، لكن الاتصال استغرق وقتا طويلاً على غير المعتاد وذلك لأنهم كانوا قد عينوا

سكرتيره جديدة لموزيتش.

قلت لها :

ـ أريـد أن أتكلم مـع الهـر «موزيتـش» مـن فضلك.. ابلغيه أن «بيير» يريد أن يكلمه.

ضحكت الفتاة ضحكة طويلة رنانة، ثم سألت :

ـ بيير ..؟ بيير ماذا ..؟

فقلت لها فى ضيق وانفعال :

ـ بيير فقط .. أرجوك أن تقولى له ذلك.. سأنتظره على الخط.

فقالت:

ـ حسن جدا

وجاء ردها هذه المرة فى صوت مهذب رقيق، مما جعلنى أفكر فى أن أعتذر لها، ولكن قبل أن تتاح لى فرصة الاعتذار كان موزيتش على الخط . فقلت له:

ـ ما رأيك فى لعبة بريدج أخرى الليلة .. إن فى جعبتى أفكارا كثيرة.؟

وعندما التقينا قلت له:

- أرجو أن تعتذر نيابة عنى لسكرتيرتك، فقد كنت غليظا وجافًا معها اليوم. إنها سكرتيرة جديدة، أليس كذلك.؟

فقال:

- نعم .. جاءت من صوفيا منذ أيام فقط.

فقلت:

- إننى أحب أن آخذها فى نزهة لأريها المدينة.

ونظر إلىّ موزيتش نظرة لا تدل على ارتياح، ولكنه قال:

- بكل سرور.

وعدت إلى حجرتى بالسفارة وأنا أغنى كالطائر سعيد، بينما كنت أصغ رزم النقود تحت السجادة فى غرفتى كالمعتاد . فقد كنت أشعر أننى فى أمان .

وفى هذه اللحظة، لحظة شعورى بالاطمئنان .. لم تلهمنى حاستى السادسة بأننى فى هذا اليوم بالذات تحدثت مع عدوى الحقيقى: المرأة .. التى كشفت حقيقتى. المرأة التى كانت تقتفى أثر الرجل المجهول الذى كان يتخفى وراء اسم شيشرون.

لم تحذرنى حاستى السادسة من شىء .. عندما سمعت صوت سكرتيرة مويزتش الجديدة.

وبعد أيام ذهبت إلى «أ . ب . ت» ـ أكبر متاجر تركيا وأغلاها ـ واشتريت منها فستانا جديدا لصديقتى الجديدة اسراء . دخلت المتجر ، وسرت فى اتساعه بخيلاء وترفع. كنت أشعر أننى أتصرف تصرفا أحمق. فلو أن موظفا بالسفارة البريطانية رآنى هناك، لانكشفت لعبتى. إذ كيف يتيسر لى ـ وأنا مجرد خادم بسيط ـ أن أشترى حاجياتى من مثل هذا المتجر؟

أن تصرفا كهذا لكاف لأن يظهر فى الحال أننى أنا الخائن المجهول الذى يبيع أسرار السفير للألمان.

وحدث فعلا ما توقعت. ففى اللحظة التى دخلت فيا المتجر رأيت موظفا بالسفارة ولكنه لم يكن موظفا بالسفارة البريطانية.. وإنما كان موظفا ألمانيا .. هو لودفيج موزيتش، ضابط الحرس الأسود الذى كان فى الأشهر الأخيرة يسلمنى النقود التى احتفظ بها الآن تحت سجادة غرفتى.

على أن الذى أثار اهتمامى لم يكن موزيتش . وإنما الفتاة الجميلة الساحرة الأنوثة التى كانت معه . فقد كانت رقيقة ، ذات

ساقين جميلتين وشعر كستنائى يتدلى على كتفيها . وضغط موزيتش على شفتيه بغضب ، عندما رآنى أحدق فيها بإعجاب واضح. ولعله كان غيورا .. أو لعله كان يلعننى لاستهتارى ومخاطرتى بالذهاب إلى «أ . ب . ت» . ولكننى لم اكترث به.

ونظرت الفتاة إلى . فابتسمت لها وقلت بالفرنسية:

- «يسعدنى أن أعرض عليك خدماتى كمترجم يا سيدتى» .

وبدون انتظار لردها على ، استدرت إلى البائعة وقلت لها بالتركية :

- «إن هذه السيدة تريد أن تشترى بعض الثياب الداخلية».

ثم سألت مرافقة موزيتش:

- «أن البائعة يجب أن تعرف مقاسك يا سيدتى».

وبدت عليها الدهشة والحرج. ثم ضحكت ورحنا نشترك معا فى عملية اختيار ثيابها الداخلية. فشكرتنى . وسألتها :

- «هل أنت ألمانية ؟ »

فقالت :

- «نعم».

فسألتها:

- «أرجو أن تكون أنقرة قد أعجبتك».

فقالت :

- «أجل .. لقد أحببتها جدا» .

ومضت المحادثة بيننا. وأدركت وقتئذ انها لابد أن تكون سكرتيرة موزيتش الجديدة التى خاطبتها فى التليفون عندما طلبت السفارة لتحديد موعد مع موزيتش .

لم أدرك فى هذه اللحظة البهيجة أن هذا سيكون لقائى الوحيد مع هذه الفتاة التى كانت ألد أعدائى .. العدو الذى يقتفى أثرى منذ بضعة أشهر.

لم أكن أعرف وقتئذ أن هدفها الرئيسى هو التوصل إلى معرفة الجاسوس شيشرون الذى كان نشاطه يهدد خطط الحلفاء الحربية فى البلقان.

وكانت هى تعرف منذ أمد طويل أن شيشرون كان موظفا بالسفارة البريطانية. ولكنها لم تكن قد تحققت بعد من شخصية هذا الجاسوس. ولم تكن هى أيضا تعرف وهى تقف معى فى محل «أ . ب . ت» أنها تواجه الرجل الذى كانت مهمتها تنحصر فى تحطيمه.

مـن الـذى يضـحـك؟

يضيف شيشرون:

ـ « وبعد ساعة من هذا اللقاء العابر ظهر أمـامى النـور الأحمـر لأول مـرة.

فبعد أن اشتريت بعض الأشياء لصديقتى اسراء، ذهبـت إلى بـهو الانتظار فـى فنـدق «أنقـرة بـالاس» لكـى استـمتع بـالجلوس فـى هدوء بهذا الجو الفاخـر.

وجلست على مقعد وثير أفكـر فـى الفتـاة الألمانيـة التـى كنـت معها منذ قليل . وفكرت فى بناء فنـدق فـاخر يكون ملكا لى. ولم لا؟

إن فـى مقدورى الآن أن أشيد فندقا حديثـا فـاخرا فـى مصيـف من أحسن مصايف تركيا مثل «بورصة» .

وبينمـا كنـت أتـأمل صورتــى فــى مـرآة مــن المرايـا العديــدة المنتشرة فى بهو أنقرة بالاس، لمحت فى المرآة الفتـاة الألمانيـة وهـى تدخل الفندق . فهممت بالذهاب إليـها، إلا أننــى تـراجعـت بسـرعة عندما وجدت إنـها ليسـت وحيـدة. وإنمـا كـان معـها شـاب يتحـدث

إليها باهتمام. وسارا معا إلى المطعم دون أن ينتبها إلى وجودى.

وملأ الخوف نفسى. فقد تذكرت فى هذه اللحظة هذا الشاب . هذا هو الوجه الذى رأيته منذ أسابيع يقود سيارته ويطارد بها سيارة موزيتش عندما كنت معه. أنه وجه أعرفه جيدا .. ولن أنساه قط .

وذهبت وأنا ارتجف إلى أحد خدم الفندق وسألته:

ـ «هل تعرف من هى هذه السيدة التى دخلت هنا منذ لحظات؟»

فهز رأسه. فسألته:

ـ « ومن هو هذا السيد الذى يرافقها؟»

فقال:

ـ «أنه يأتى إلى هنا كثيرا . أنه رجل إنجليزى أو أمريكى. واسمه «سيروز»على ما أعتقد»

وقررت أن أتصل فى الحال بموزيتش.

ولكنه لم يكن بالسفارة. وانقضى أسبوع كامل قبل أن أتمكن من مقابلته.

وفى خلال ذلك الأسبوع وقع حادث ضاعف خوفى.

الأول وقع ذات صباح عندما كنت أعد ثياب السفير البريطانى، فقد لاحظت أن هناك فرحة طاغية تبدو عليه. وتحدث إلى برقة قائلاً :

« إنك حسن الحظ لأنك تعمل معى يا إلياس. لأنك لو كنت تعمل مع فون بابن فى السفارة الألمانية لما وجدت هناك شيئا تضحك عليه اليوم».

وأضاف:

« إن ثلاثة من الألمان فروا من استانبول . وهناك موظفة ألمانية فى السفارة مفقودة. إن بيت فون بابن كله مقلوب الآن رأسا على عقب. ولو انهم عرفوا ما حدث لها لازداد قلقهم ..» .

وانفجر بعد هذا ضاحكا .. ثم احنى رأسه لى بطريقة لطيفة، ومضى إلى مائدة الفطور.

اشتدت دقات قلبى سرعة . ونزلت إلى المطبخ.

كنت أريد أن أعرف بسرعة من تكون هذه الموظفة التى فرت من السفارة الألمانية. وإن لم يكن فى ذهنى أقل شك فيمن تكون هذه الموظفة.

كانت أنباء فرارها قد وصلت إلى المطبخ ولم يكـن هـذا مدهشا، لأن الأتراك كانوا يعملون فى جميع السفارات الأجنبية فى أنقرة ، وكان بين هؤلاء الأتـراك اتصالات مستمرة وكانت الشائعات تنتقـل بينهم بسرعة.

قال لى مانولى رئيس الخدم:

ـ لقد فرت امرأة كم السفارة الألمانية .

فقلت له:

ـ «أجل سمعت هذا النبأ. هل تعرف من هى؟»

فقال :

ـ «إنها سكرتيرة اسمها كورنيليا كاب»

هذا إذن هو اسمها . كانت هذه أول مرة أسمعه فيها.

جاســوس فــى خـــطر

وفى مساء ذلك اليوم ذهبت لتقديم الشاى فى غرفة السفير البريطانى. وكان معه سكرتيره الأول المستر ديفيد باسك. وعندما دخلت حاملا الصينية سمعت المستر باسك يقول:

«.. فرت إلى القاهرة .. ويجرى الآن التحقيق معها»

وتوقف عن إتمام الحديث فجأة عندما دخلت الغرفة . فقدمت لهما الشاى فى صمت وخرجت.

وبعد يومين وقع الحادث الثانى الذى هزنى من الأعماق وأثار انزعاجى .

فقد رأيت الشاب ذا الوجه الناعم مرة أخرى . كان يقف فى شارع احمد أجوجلو عند مدخل الموظفين بالسفارة البريطانية، ظل واقفا هناك اكثر من ساعة. الدائرة بدأت تضيق. الآن انحصرت شبهتهم فى شخصية شيشرون فى موظف بالسفارة يستخدم الباب الخلفى.

وما أن رأيت هذا الشاب ذا الوجه الناعم يتحرك من مكانه حتى أسرعت إلى الخروج من السفارة.. وتبعته. استقل سيارة أجرة . فركبت واحدة وطلبت من سائقها أن يتبعه.

غادر الشاب ذو الوجه الناعم السيارة أمام عمارة كبيرة فى شارع متفرع من مرمرة سوكاجى، يسكن فى شققها كثيرون من البريطانيين والأمريكيين وكانت فى يده حلقة مفاتيح. انه يسكن هنا إذن.

وفى اليوم التالى وقفت أراقب هذه العمارة . وفجأة رأيت سيروز فى الشارع ومعه فتاة ترتدى زى المجندات البريطانيات وكان شعرها أسود قصيرا .

لم يبق لدى شك فى أن كورنيليا كاب « أليسابت » التى رأيتها فى محل «أ . ب . ت» وفى فندق أنقرة بالاس، الفتاة ذات الشعر الكستنائى .. هى نفسها هذه الفتاة ذات الشعر الأسود القصير.. لقد دلت عليها مشيتها، وقوامها ، والطريقة التى كانت تتكلم بها مع سيروز .

اللحظة إذن قد جاءت . لم يعد هناك دقيقة بمكن أن أضيعها . عدت إلى غرفتى بالسفارة.. ودمرت كل شىء يدل على أننى كنت جاسوسا. حطمت الكاميرا وألقيت قطعها الصغيرة فى النهر. وجمعت كل النقود التى كنت أخفيها تحت السجادة ووضعتها فى حقيبة كبيرة.

وفى صباح اليوم التالى استأجرت خزانة فى البنك وضعت فيها النقود . ثم عدت إلى الاتصال بموزيتش . والتقيت به فى تلك الليلة فى مكتبه بالسفارة الألمانية، وقلت له:

ـ «انتهى كل شىء . لن اعمل معكم بعد اليوم».

فنظر إلى فى وجوم . وبدا عليه الحزن ومضيت قائلاً :

ـ «أننى اعرف كل شىء عن سكرتيرك أليسابت « كورنيليا كاب» . لقد فرت .. أليس كذلك سأقول لك أين هى . إنها مع البريطانيين الآن ، وأستطيع أن أدلك على المنزل الذى توجد به الآن .. والعميل البريطانى الذى تعمل معه».

وكتبت عنوان العمارة .. وسلمته له . وخرجت.

أمــــريكـــية بروحـــها

كان الأمريكان .. لا الإنجليز .. هم الذين أوقفوا نشاطى كجاسوس. فقد كانت إدارة الخدمات الاستراتيجية ـ بالولايات المتحدة الأمريكية ـ لا مكتب المخابرات البريطانية (M.I.5) هى التى كلفت صائدة الجواسيس الألمانية الفاتنة باقتفاء اثرى.

استقت واشنطن بيانتها من عميل لها فى برلين، كان يعمل فى وزارة الخارجية الألمانية. وعن طريق وسيط امريكى فى سويسرا أبلغ هذا العميل آلان دالاس رئيس مكتب المخابرات السرية بواشنطن، أن الشواهد تدل على أن الجاسوس الجديد يعمل فى السفارة البريطانية فى أنقرة.

واختار دالاس موظفا مهما عنده ـ هو جورج إيرل كبير خبراء الشئون البلقانية ــ وكلفه لهذه المهمة . وذهب جورج إلى أنقرة حيث كان يباشر وظيفة صورية ــ هى وظيفة الملحق البحرى بسفارته! أما وظيفته الحقيقية فكانت الأشراف على المخابرات السرية الأمريكية كلها فى البلقان. وكانت المهمة رقم ١ عند جورج هى: البحث عن شيشرون .

ورأى جورج أن أحسن طريقة هى أن يستخدم لهذا الغرض فتاة ألمانية كانت قد انضمت أخيرا إلى المخابرات السرية الأمريكية فى صوفيا. فتاة اسمها أليسابت « كورنيليا كاب».

وقد أتيح لى بعد سنوات عديدة أن أعرف قصة هذه الفتاة التى كلفوها لاقتفاء اثرى. عرفت أنها ولدت فى برلين فى سنة ١٩٢١ ، ولكنها أمضت سنوات عديدة خارج بلادها، حيث كانت تسافر مع والدها وكان موظفا بالسلك القنصلى.

قضت «كورنيليا » فترة طويلة من صباها فى الولايات المتحدة الأمريكية . وهناك أحبت شابًا أمريكيًا أغدق عليها فيضانات من العشق أذهبت بوعيها ، حتى باتت كالفراشة تحلق فى عالمه،

منجذبة إلى مزيد من الحنان المفعم برقة المشاعر . لذلك ضعف لديها الحنين إلى وطنها الأصلى، ألمانيا، فالحبيب الأمريكى جعل أمريكا وطنها وعشقها وحبها.

ولكن عندما دخلت أمريكا الحرب، عادت كورنيليا مع أسرتها إلى ألمانيا . وفى سنة ١٩٤٣ كانت فى صوفيا مع والدها الموظف بالسفارة الألمانية هناك.

وفى صوفيا تم اتصال المخابرات السرية الأمريكية بها. ولم يقتض الأمر بذل جهود كبيرة لإغرائها بالعمل معهم، لأنها كانت أمريكية بروحها .

وعندما كلفت «بعملية شيشرون» ، طلبت من والدها أن يلحقها بوظيفة فى السفارة الألمانية بأنقرة . وبالصدفة، كان لودفيج موزيتش، رئيس المخابرات هناك فى حاجة إلى سكرتيرة.

وبعد سنوات صرحت كورنيليا بأنها استطاعت ان تثبت بالدليل القاطع أن الجاسوس شيشرون كان موظفًا بالسفارة البريطانية. وقالت أنها تحدثت معه شخصيا بالتليفون.

هذا هو ما صرحت به أليسابت برج «كورنيليا » فى سان

دييجو بولاية كاليفورنيا ، حيث كانت تعيش مع زوجها الأمريكى «الذى لم يكشف عن شخصيته حتى الآن» وأطفالها. ومضت بعد هذا إلى وصف الطريقة التى فرت بها من الألمان .

قالت:

- «كنت أعطى الأمريكيين معلومات سرية فى كل يوم . وكان الضغط على أعصابى شديدا إلى درجة أننى اضطرت إلى الالتجاء إلى المخدرات. وفى النهاية لم يعد فى مقدورى أن أستمر فى هذا السبيل.

لقد كنت مقتنعة بأننى زودت الأمريكيين ببيانات كافية للتوصل إلى شخصية شيشرون. وعندئذ طلب الأمريكيون منى أن أتقدم إلى رؤسائى الألمان بطلب عطلة لزيارة والدى فى صوفيا» .

وعن ذلك يقول شيشرون:

ـ هذه كلها تفاصيل لم أعرفها إلا بعد انتهاء الحرب بعدة سنوات. ولكننى فى وقت حدوث هذه الأشياء شعرت بالخطر يدنو منى. فسارعت إلى نقل نقودى إلى خزانة بالبنك، وحطمت الكاميرا وتخلصت من كل أدلة الجاسوسية .

وبقى أن أترك عملى بالسفارة بعد أن أصبحت فى حالة مالية تساعدنى على العيش فى رغد. ولكننى ادركت أننى لو تركت السفارة فى ذلك الوقت ، فسأوضح بلا شك أننى أنا الخائن الذى تطارده المخابرات السرية البريطانية.

لذلك أثرت البقاء بعض الوقت فى عملى ..

وبعد أسابيع قلت للسفير وأنا أناوله سترته أن هناك وظيفة أخرى تنتظرنى فى استانبول .. لأن أسرتى ..

وقبل أن أتم جملتى قاطعنى السفير قائلاً :

- لا ريب أنك تعرف مصلحتك جيدا إذا شئت أن تترك العمل ، فأننى لن أمنعك. سو حالتك مع رئيس الخدم.

وبدا لى أنه كان فى عجلة .. ويريد أن يخرج إلى عمله بسرعة، فلم يشأ أن يضيع وقته فى مناقشة طلبى.

وهكذا تركت السفارة البريطانية فى أوائل صيف ١٩٤٤. ثم حدث بعدها أن استدعى السفير البريطانى نهائياً من أنقرة.

الثروة المزيفة

لكن .. ترى ماذا كانت نهاية هؤلاء بعد هزيمة ألمانيا وانتحار هتلر وعشيقته ..؟ وماذا حدث لـ «شيشرون» ولضابط حالته المسئول «موزيتش» ، وللجاسوسة الماهرة العاشقة..؟

لقد كان من المفروض أن يسافر موزيتش إلى ألمانيا، لولا أن زحف الجيش الأحمر على البلقان وحدوث شلل للمواصلات بين صوفيا وبلجراد. وعند ذلك ، صدر الأمر باعتقال موزيتش مع باقى الجالية الألمانية فى مساكن السفارة ، التى أحيطت بالأسلاك الشائكة ووضع عليها الحراس، وكان هذا إجراء مؤقتاً اتخذه الحلفاء فى انتظار الترحيل، وقد تقرر أن لا تنقلهم سفينة إلا فى إبريل ١٩٤٥، وكان هتلر قد انتحر والرايخ[1] الثالث فى الاحتضار فركبوا السفينة من استانبول.

ولما وصلوا إلى جبل طارق ، كانت الحرب قد وضعت أوزارها وأصبحوا لا حكومة لهم، ففقدوا حصانتهم الدبلوماسية، واعتقلوا فى إنجلترا أولاً، ثم أخيرا فى المنطقة البريطانية فى

---

(١) الرايخ الثالث : تعنى (الإمبراطورية الألمانية الثالثة) .

ألمانيا، وبعد التحقيق مع موزيتش أطلق سراحه، فسافر إلى فينا حيث لحق بزوجة وأولاده.

وطلب أثناء محاكمات «نورمبرج» [1] ليدلى بشهادته مرة أو مرتين، ولم يقم عليه أى ادعاء ، وعاد إلى حياته المدنية يعمل مديرا للتصدير فى شركة للغزل قريبا من «انسبروك» فى التيرول النمسوى.

أما ريبنتروب، فقد حكم عليه بالإعدام فى نورمبرج، وشنقًا ، لكن برئت ساحة الهر فون بابن فى هذه المحاكمات.

أما «اليسابت» فلا يعلم أحد حتى ولا أهلها، ما إذا كانت على قيد الحياة وقتها أم لا ؟ وقد قيل أنها حين غادرت تركيا كانت قد صبغت شعرها بعد أن كانت شقراء، وقصته وكان طويلا، وبدت فى ملابسها الأمريكية كشابة أمريكية أنيقة.

وعن شيشرون، فقد اختفت أخباره ولم يكن أحد يدرى ما إذا كان قد قبض عليه أو هرب، ولعل المخابرات السرية البريطانية أرادت ألا تميط اللثام فتتذكر ما جرى له .

---

(١) محاكمات نورمبرج تلك التى أجريت عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية لمحاكمة النازيين على ما ارتكبوه من جرائم ، حيث حكم على العديد منهم بالإعدام شنقا إمعانا فى تحقيرهم وإذلالهم .

أما المبالغ التى وصلته فتبلغ ٣٠٠ ألف جنيه، أو يوازى مليون دولار أمريكى.

ويقول موزيتش إنه عرف فى النهاية أن النقود التى تسلمها منه شيشرون كانت مزيفة، وأنها «صنعت فى ألمانيا» لدرجة أن مديرى البنوك لم يستطيعوا تمييزها ، وقد أدرك شيشرون حقيقة ذلك بعد أن انتهت الحرب.

وهكذا دفع أكبر مبلغ فى تاريخ الجاسوسية، لأعظم وثائق تشمل محاضر دقيقة، عن أخطر خطط العدو وأعظم أسراره، وكان المبلغ الذى دفع مزيفا ، والمعلومات لم تستعمل إطلاقا .

وهذا فى رأي موزيتش أمتع نقطة .

ومن الناحية التاريخية لا شك أهم نقطة فى عملية شيشرون، وكان كل ما عرفه زعماء ألمانيا من هذه الوثائق فقط هو «أنهم أوشكوا أن يخسروا الحرب» .

لقد أدركوا منها أن الحلفاء أقوى منهم بكثير ، ولكن هذه الحقيقة المرة رفضوا أن يواجهوها .

وختم موزيتش قصته بقوله:

ـ «أن العجز عن مجابهة الحقيقة وإدراك موقف العالم على

حقيقته، كان ذلك اعظم حماقة منى بها زعماء النازى .

فإن موقفهم من عملية شيشرون دل على ذلك، هذا الموقف قد كلف العالم ما يعلمه إلا الله، بجانب ما كبده من نزقهم الآثم.. بؤسا لا حد له، ما زال يلاحق الملايين الأبرياء من الناس، حتى الآن.

لقد كانوا ساسة مزيفين، ومن الغريب أن هذه التسمية مناسبة لهم، فهم قد ابتاعوا معلومات عجزوا عن أن يستفيدوا منها بأموال مزيفة. »

الخديعة النازية

أما شيشرون فيقول بعد شهادة موزيتش بسنوات:

ـ « بعد أن غادرت السفارة البريطانية بدأت حياة جديدة، واستأجرت شقة فاخرة فى حى «مالتين» بأنقرة ، عشت فيها كما يعيش الأثرياء العاطلون الكسالى .

على أننى لم ألبث أن ضقت ذرعا بهذه الحياة الفارغة، فقررت أن أدخل ميدان العمل الحر. واشتغلت فى تجارة السيارات المستعملة .

وفى الصيف التالى .. صيف ١٩٤٥ حدث الشىء الذى غير مجرى حياتى كلها وكان الألمان قد خسروا الحرب. أما البريطانيون فأنهم لم يستطيعوا أن يتخذوا أى إجراء ضدى لخيانتى لهم، وتجسسى على سفيرهم.

إذ أنهم آثروا ألا ينشروا هذه الفضيحة.. حتى لا يسخر العالم من غفلتهم !

وهكذا أصبحت حرا، لم أعد اخشى مطاردة أو انتقاما ــ فقررت عندئذ أن أحقق حلم حياتى. أن أبنى الفندق الفاخر الذى أتمناه فى مصيف «بورصة» .. أجمل بقعة فى تركيا كلها. الفندق الذى سيكون ملتقى أثرياء العالم.

خطوت أول خطوة نحو تحقيق حلمى.

أنشأت شركة مقاولات معمارية.

انتعشت الشركة . كنت أتناول عشائى مع كبار موظفى الحكومة.

ظفرت بعقد لبناء مكتب البريد فى استانبول وغيره من العقود المهمة.

وأصبحت أنا الياس بازنا الخادم السابق للسفير البريطانى ـ شخصا مهما وله نقود فى بلدى.

وكان فى حى «بورصة» فندق صغير، فقررت أن أتفاهم مع صاحبه. وفعلا اتفقنا على تكوين شركة لتنفيذ مشروع الفندق، أسميناها «شركة بازنا وعكار» .

وأيدت الحكومة التركية مشروعنا الكبير وقررت أن تساعده. وكان المشروع ينحصر فى بناء فندق يتألف من خمسة طوابق، ويحتوى على ١٥٠ غرفة نوم، لكل غرفة حمام خاص وتليفون وكل وسائل الراحة الممكنة. وقررت أن يكون للفندق بهو هائل لأننى ضعيف أمام أبهاء الفنادق!

وفى ذلك الوقت انتشر الفزع والقلق بين رجال المال والأعمال فى تركيا. فقد عثر رجال البوليس فى استانبول على أوراق مالية بريطانية مزيفة بدقة عالية.. وكانت هذه الأوراق متداولة فى المدينة.

وأثبت التحقيق أن تاجرا من تجار مواد البناء تلقى كمية كبيرة من الأوراق المالية الإسترلينية . فقرر أن يرسلها إلى بنك إنجلترا لفحصها . وقال البنك أنها مزيفة بمهارة وظهر أن هذه

الأوراق وصلت التاجر من شركتنا. وامتلأ الجو برائحة الفضيحة.. لأن أفخر فندق تركى الذى تساهم الدولة فيه كان يشيد بأموال مزيفة !

صادرت الحكومة أرصدة الشركة . وأفقت أنا على هذه الحقيقة الرهيبة وهى أن كل آمالى قد انهارت.

ولم يكن يخطر فى بالى على الإطلاق أن الألمان كانوا يخدعوننى، كما كنت أنا أخدع السفير البريطانى. ولم يخطر ببالى قط أن أتساءل لماذا اختار الألمان أن يدفعوا لى ثمن جاسوسيتى أوراقا مالية بريطانية مزيفة .

لم أتصور أبدا أن هذه الأوراق كانت جزءا من عملية تزييف بارعة تكاد أن تبلغ حد الكمال، وأن النازيين أغرقوا الدول المحايدة بملايين من هذه الأوراق لكى يدمروا الاقتصاد البريطانى.

لم اكن أعلم فى ذلك الحين أن النازيين زيفوا أوراقا مالية وصلت قيمتها مائة وخمسين مليونا من الجنيهات.

وواجهت متاعب لا حد لها مع رجال البوليس.. ومع الحاكم .. ومع دائنى.

واتهمت بالنصب!

وفى المحاكم قلت أننى لم أقدم هذه النقود للتداول بسوء نية.. وأن الألمان هم الذين ينبغى أن يتهموا بالغش.. والنصب .

وبعد أن قضيت سنوات طويلة فى كفاح مرير للدفاع عن شرفى، عدلت المحاكم عن محاولة دمغى بأننى مجرم. ولكنها أصرت على أن أدفع للدائنين حقوقهم.

ولكى أتمكن من سداد هذه الديون .. عدت إلى تجارة السيارات المستعملة.

وذهبت يوما ـ عندما ضاق بى الحال ـ إلى القنصلية العامة لجمهورية ألمانيا الاتحادية وطلبت مقابلة القنصل العام.

إلا أننى لم أصل إلا لموظف صغير هناك قال لى أنهم لا يعلمون شيئا عن عملية شيشرون هذه!

إلا أننى لم أيأس . فكتبت خطابا إلى الدكتور كونراد أديناور رئيس وزراء ألمانيا الاتحادية فى بون، وطلبت منه أن يتدخل لتصحيح الخطأ الذى ارتكبته بلاده فى حقى وتعويضى عن الأخطار التى عرضت لها حياتى عندما كنت أقدم للرايخ الألمانى

أجل الخدمات.

وفى اعتقادى أن الحكومة الألمانية الحالية هى وريثة ألمانيا الهتلرية .. وينبغى عليها أن تكون مسئولة عن ديونها .

إلا أن رد الدكتور أديناور على خطابى كان موجزا جدا.

ـ «فيما يتعلق بطلبكم من الرايخ الألمانى، تعتذر وزارة الخارجية لأنها لا تستطيع أن تتخذ أى إجراء فى الأمر المشار إليه»!

اختفى شيشرون بعد ذلك من وسائل الإعلام وتاه وسط زحام الحياة .

واختفت « أليسابت برج » أيضا ولم يعد لها أثر إلا فى الأوراق وملفات الجاسوسية .. كألمانية أحبت ، فباعت الوطن لأجل الحبيب..!!

كتب صدرت للمؤلف عن دار أطلس

- حراس الهيكل .. عمليات الموساد الخارجية فى نصف قرن ـ الجزء الأول : الخطف .
- حراس الهيكل .. عمليات الموساد الخارجية فى نصف قرن ـ الجزء الثانى : الاغتيالات
- حراس الهيكل .. عمليات الموساد الخارجية فى نصف قرن ـ الجزء الثالث : الفضائح .
- رصاصة الرحمة .. اللحظات الأخيرة فى حياة الجواسيس .
- قصتى مع الموساد .. مذكرات جاسوس الإسكندرية .
- الملازم أول دينا عمر .. جندها زوجها فجندت أولادها الثلاثة .
- البكاء الصامت : دراسة سيكولوجية عن دموع العظماء .
- جاسوسات عاشقات .. خلدهن الحب وحقرهن التاريخ (سلسلة من ٢٠ جزء) .



تتشرف أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى بتلقى أى
أراء أو تعليقات على الكتاب سواء للدار أو للكاتب على :

تليفون : ٣٤٦٥٨٥٠ ـ ٣٠٢٧٩٦٥ (٢٠٢) فاكس : ٣٠٢٨٣٢٨
E-mail: atlas@innovations-co.com